٢٠١٣

أدب

# قميص هاواى

إيهاب عبد الحميد

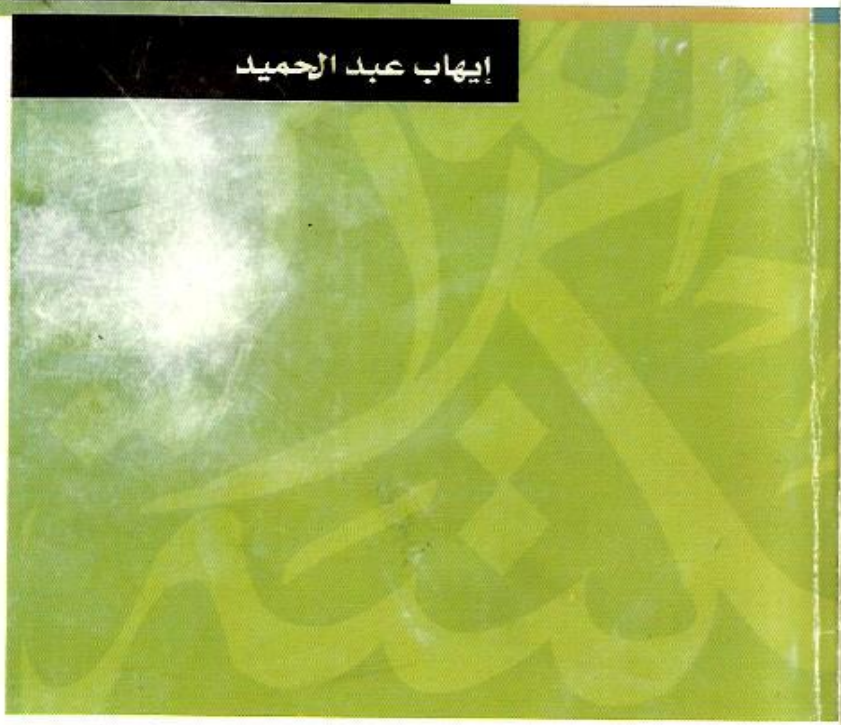

«قصص»

الهيئة المصرية العامة للكتاب

fb/mashro3pdf

# قميص هاواى

fb/mashro3pdf

المشرف العام
د. أحمد مجاهد

اللجنة العليا
د. أحمد زكريا الشلق
د. أحمد شوقى
د. حسن طلب
أ. سامح فوزى
أ. صلاح عيسى
أ. طلعت الشايب
أ. عبلة الرويني
د. محمد بدوى مقرر
د. محمود عزب
د. مصطفى لبيب

تصميم الغلاف
وليد طاهر

الإشراف الفنى
على أبو الخير
صبرى عبد الواحد

تنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

fb/mashro3pdf

# قميص هاواى

إيهاب عبد الحميد

قصص

fb/mashro3pdf

# صورة جماعية للوحدة

عبد الحميد، إيهاب.

قميص هاواى: قصص/ إيهاب عبد الحميد . ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٣.

١٣٢ص، ٢٠سم . ـ (مكتبة الأسرة، ٢٠١٣)

تدمك ٧ ـ ٣٣٨ ـ ٤٤٨ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨.

١ـ القصص العربية.

أـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٣/٩٧٧٩

I.S.B.N 978- 977- 207-338-7

ديوى٨١٣

fb/mashro3pdf

## توطئة

# مشروع له تاريخ

مشروع «القراءة للجميع» أى حلم توفير مكتبة لكل أسرة، سمعنا به أول مرة من رائدنا الكبير الراحل توفيق الحكيم.

وكان قد عبر عن ذلك فى حوار أجراه معه الكاتب الصحفى منير عامر فى مجلة «صباح الخير» مطلع ستينيات القرن الماضى، أى قبل خمسين عامًا من الآن.

كان الحكيم إذًا هو صاحب الحلم، وليس بوسع أحد آخر، أن يدعى غير ذلك.

وهو، جريًا على عادته الخلاقة فى مباشرة الأحلام، تمنى أن يأتى اليوم الذى يرى فيه جموعًا من الحمير النظيفة المطهمة، وهى تجر عربات الكارو الخشبية الصغيرة، تجوب الشوارع، وتتخذ مواقعها عند نواصى ميادين المحروسة، وباحات المدارس والجامعات، وهى محملة بالكتب الرائعة والميسورة، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من حاملات الخضر وحبات الفاكهة.

ثم رحل الحكيم مكتفيا بحلمه.

وفى ثمانينيات القرن الماضى عاود شاعرنا الكبير الراحل صلاح عبد الصبور التذكير بهذا الحلم القديم، وفى التسعينيات من نفس القرن، تولى الدكتور سمير سرحان تنفيذه تحت رعاية السيدة زوجة الرئيس السابق. هكذا حظى المشروع بدعم مالى كبير، ساهمت فيه، ضمن من ساهم، جهات حكومية عدة، وخلال عقدين كاملين صدرت عنه مجموعة هائلة من الكتب، بينها مؤلفات ثمينة يجب أن نشكر كل من قاموا باختيارها، إلا أنه،

fb/mashro3pdf

للحقيقة ليس غير، حفل بكتب أخرى مراعاة لخاطر البعض، وترضية للآخر، ثم إن المشروع أنعش الكثير من متطلبات دور النشر، بل اصطنع بعضها أحيانًا.

وبعد ثورة ٢٥يناير والتغيرات التى طرأت توقفت كل الجهات الداعمة لهذا المشروع الثقافى عن الوفاء بأى دعم كانت تحمست له عبر عقدين ماضيين، سواء كانت هذه الجهات من هنا، أم كانت من هناك.

ولم يكن أمام اللجنة إلا مضاعفة التدقيق فى كل عنوان تختار، وسيطر هاجس الإمكانات المحدودة التى أخبرتنا بها الهيئة فى كل آن.

والآن لم يبق إلا أن نقول بأن هذه اللجنة كانت وضعت لنفسها معيارا موجزا:

جودة الكتاب أولاً، ومدى تلبيته، أولاً أيضا، لاحتياج قارئ شغوف بأن يعرف، ويستمتع، وأن ينمى إحساسه بالبشر، وبالعالم الذى يعيش فيه.

واللجنة لم تحد عن هذا المعيار أبدا، لم تشغل نفسها لا بكاتب، ولا بدار نشر، ولا بأى نوع من أنواع الترضية أو الإنعاش، إن لم يكن بسبب التربية الحسنة، فهو بسبب من ضيق ذات اليد.

لقد انشغلنا طيلة الوقت بهذا القارئ الذى انشغل به قديما، مولانا الحكيم.

لا نزعم، طبعًا، أن اختياراتنا هى الأمثل، فاختيار كتاب تظنه جيدًا يعنى أنك تركت آخر هو الأفضل دائمًا، وهى مشكلة لن يكون لها من حل أبدا. لماذا؟

لأنه ليس هناك أكثر من الكتب الرائعة. ميراث البشرية العظيم، والباقى.

إبراهيم أصلان

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# العطش

fb/mashro3pdf

انقطعت المياه.

مسح وجهه المجهد بالفوطة ثم نظر فى المرآة. قطب حاجبيه. حاول أن يمشّط شعره الجاف فآله. فتح الثلاجة فلم يجد مياه. شعر بالعطش. دخل فى بنطاله وقميصه ونزل.

-عصير؟

-نفد..

-عصير؟

-نفد..

-عصير؟

-نفد..

كل إجابة كانت تشعره بمزيد من العطش. مر بجوار المقهى. لا أحد بالداخل. سأل المعلم بصوت جاف..

-المياه مقطوعة والحال واقف.

ابتلع ريقاً وهمياً وقفز داخل الباص.

لم يكن من الشخصيات القلقة، ولكنه بدأ فى القلق، خاصة عندما لم يجد مياه فى المكتب. لكن زملاءه لم يبالوا..

fb/mashro3pdf

-آه.. نعم.. المياه مقطوعة فعلا، هل رأيت إعصار كاترينا الذى ضرب أمريكا؟

انهمك فى الأعمال الكتابية حتى تلوثت يداه بالحبر، وحان موعد انصرافه، كلفه رئيسه بعمل منزلى..

-هل الماء مقطوع فى بيتك أيضا سيدى؟

-بالطبع لا.. لا أعرف.. المهم أنجز هذه الحسابات الليلة.. أراك غدا.

حمد الله على الجو البارد، وتدثر فى قيلولة سريعة.

استيقظ، مازال الماء مقطوعا، قرر أن ينسى الأمر تماما..

-وكأن لم يعد لى مشاكل سوى المياه.

جلس إلى عمله، ارتبك قليلا وسط الأرقام، لكن خبرته أنقذته من الضياع. الساعة لاتزال الحادية عشرة. سيكافئ نفسه بالنزول إلى المقهى.

وضع قدميه فى الحذاء، شعر به واسعا. ليس مجرد شعور. إنه واسع. يستطيع أن يمسك بالفراغ أمام أصابعه. دهشة تحولت إلى ضيق مع دبيب خطواته على السلم.

على المقهى لافتة معلقة..

"لا توجد مشروبات.. الجلوس بنصف جنيه والألعاب بربع جنيه"

جلس بجانب صديقه..

-تلعب طاوله؟

-قدمى صغرت.

-نعم؟

-أو ربما الحذاء اتسع.



fb/mashro3pdf

هز رأسه..هرش ذقنه.. مط شفتيه..

-هذا أمر مدهش.. غريب فعلا.. تلعب طاوله؟

فاز الصديق.

من المنزل المقابل نزلت فتاة جميلة ذات ساقين مدهشتين. بدأ الصديق فى النميمة..

-ها.. نزلت من عند الطبيب.. أى مريضة تلك؟ أراقبها منذ شهور. تأتى كل يوم تقريبا. أى طبيب يعمل حتى منتصف الليل؟

دفع الحساب وانصرف. فى الطريق وجدها أمام محطة الباص. نظر إليها. تهاوت على الأرض. لم يكن هناك أحد فى الشارع. فكر لثوان ثم حملها إلى شقته. أفاقت مبتسمة فاندهش..

-أين أنا؟

حكى لها.. حكت له.. عرض عليها البقاء للصباح، وبقت.

-أنا مشكلتى أنى عبيطه، الناس يقولون عنى عبيطه، ولكنى لست عبيطه، أحيانا أفعل أشياء غريبة لا يفعلها الناس الآخرون، ولكن أحيانا أفعل نفس الأشياء التى يفعلها الناس الآخرون، فلماذا عندما أفعل أشياء مختلفه يقولون عنى عبيطه، وعندما أفعل نفس الأشياء التى يفعلونها لا يقولون إنى ذكيه؟ أمى تقول عنى عبيطه مع أن الناس يقولون عنها عبيطه هى الأخرى، أبى كان يقول لها يا عبيطه دائما حتى دعت عليه ذات مرة أن يصدمه أوتوموبيل، وصدمه أوتوموبيل وأخذت أمى تبكى وتقول يا رب لم أكن أقصد، لكن ربنا لم يرد عليها، وأنا كنت أضحك عليها وأقول لماذا تبكين، هل كنت تحبينه، وهى تقول لا. كان مفتريا، لا شغلة ولا مشغلة، ويأكل عرقى، وأنا أضحك وأقول لها اضحكى فتضحك، وأشياء



fb/mashro3pdf

من هذا القبيل، وهذا ما يجعل الناس الذين كانوا يقولون عن أمى عبيطه يقولون أيضا عنى عبيطه، وهذه هى مشكلتى الوحيده، والله، وليس عندى أى مشكلة أخرى.. وأنت هل عندك مشكلة؟

-حذائى واسع!

-ها ها ها ها، يبدو أنك عبيط مثلى، أنا لو قلت لك مشاكل من هذا النوع سأحكى لك ألف مليون ترليون مشكلة، لكن أنا قصدى المشاكل الحقيقية، مشكلتى أنا الحقيقية مثلا أنى عبيطه، ولكنها أيضا ليست مشكله حقيقية، لأنى لست حزينه أننى عبيطه، ثم إن هناك ناس يقولون إننى لست عبيطه، مثل الدكتور، وهو رجل طيب ودكتور، ويعرف أكثر من أولئك الذين يقولون عنى عبيطه، والدكتور يقول إنه يحبنى، لكننى سأكون عبيطه لو صدقته، وسيكون هو عبيطا لو أحب واحده عبيطه مثلى.. و.. آه.. هل عندك دورة مياه؟ بالطبع عندك دورة مياه. كم أنا عبيطه.. أين دورة المياه؟

-من هنا.. لكن المياه مقطوعة.

-ليست مشكلة.

ذكر الماء أشعره بالعطش مجددا، فتح الثلاجة، وجد نصف برتقالة خفف قليلا من عطشه.

-تسمح لى أن أبيت هنا الليلة؟ الوقت متأخر جدا، ولن أجد مواصلات، سأرحل فى الصباح الباكر، لا أستطيع أن أتأخر، إخوتى ينزلون إلى أشغالهم فى الصباح، أنا أيضا أشتغل فى محل للملابس، ولكن غدا إجازة، يجب أن أعتنى بأمى، عندها الضغط والسكر ومياه بيضاء على عينها اليمنى، ويجب أن تتناول الأدوية فى مواعيدها، أدوية كثيرة،



fb/mashro3pdf

الطبيب أعطاها لى وهى فى حقيبتى الآن.. انظر.. هذا الدواء قبل الأكل، وهذا وهذا وهذا بعده، وهذا قبل النوم، وهناك أدوية أخرى أيضا.. تسمح لى أن أبيت هنا؟

ونامت فى حضنه بملابسها، ظل ساعتين يفكر فيها، ويتمنى أن يزحف ليقبل ساقيها الجميلتين، لكنه نام فى النهاية.

استيقظ. مسح وجهه فى الفوطة. غير ملابسه الداخلية ونزل وتركها نائمة. يمشى بصعوبة داخل حذائه الواسع. يستقل الباص. يذهب للعمل. يعود من العمل. يمر على الفكهانى.

-كيلو برتقال من فضلك.

-لا يوجد.

-يوسفى.

-لا يوجد.

-بطيخ.

-نحن فى الشتاء.

-أى شيء.. أنا عطشان.

-لا يوجد سوى الموز.

اتصل بشركة المياه.

-آه.. نعم.. المياه مقطوعة، هناك بعض المشاكل ستُحل قريبا إن شاء الله، لا تقلق.

-أنا عطشان.

-آه.. نعم.. المياه مقطوعة، هناك بعض المشاكل ستُحل قريبا إن شاء الله، لا تقلق.



fb/mashro3pdf

نام. استيقظ على جرس الباب. دَخَلتْ.

-حضّرتُ لك بعض الطعام، لم أستطع أن أطبخ، أنا طباخة ماهرة، أمي علمتني الطبخ عندما كنت في السادسة، كنت أطبخ لها ولأبي ولأخوتي السبعة، وكان أبي يحب طبيخي كثيرا، لكنه مع ذلك كان يقول عني عبيطة، آه لو يحالفك الحظ وتأكل المسقعة عمل يدى، لكني لم أطبخ اليوم لأنه لا يوجد مياه، هل عندك مياه هنا؟ أريد أن آخذ حماما، رائحتى ليست طيبة.

-المياه مقطوعة.

أخرجت زجاجة عطر من حقيبتها، ورشت قليلا منه على نفسها وضحكت..

-هل يعجبك العطر. هدية من الدكتور. أنا أفهم في العطور جيدا، هو عطر غالى، ولكنه ليس غاليا جدا، والعلبة كذلك لم تكن مغلقة، أنا أعتقد أنه أخذها من دولاب زوجته، ولكن ذلك لا يعني أنه بخيل، هو فقط لا يحب أن يصرف نقودا كثيرة، ولكنه ليس بخيلا، وأنا لم أطلب منه شيئا ورفض، أنا أساسا لم أطلب منه شيئا من قبل، هو طيب وحنون..هيا نأكل.

لم تتوقف عن الثرثرة، وشعر بالسعادة للمرة الأولى منذ زمن طويل. ضحك فآلمته عضلات وجهه الصدئة. حاول أن يتذكر لحظة سعادة مماثلة فلم يستطع. نزلت في العاشرة.

-يجب أن أمر على الطبيب، هو يقول إنه يحبني، ولا يقول عني عبيطه. ويحب أن أسليه بعد موعد العمل، اجلس أمامه وأتكلم وهو يسمع، وفي مرة قبلني، ليس على شفتي، ولكن على خدى، قبلة



fb/mashro3pdf

سريعة، وفى مرة قال لى مددى على الكنبة لأكشف عليك، أنا طبعا لست عبيطه، وعرفت فورا ماذا يريد، لكنه شخص طيب يعطف علىّ وعلى عائلتى، وينصحنى دوما ألا أنخدع بأى شىء، ويقول لى إن الدنيا صعبة وغادرة، لكنى أهز رأسى وأنا أقول فى نفسى إن الدنيا بسيطة وحلوة. هو خائف على، هو حنون، لكنى والحمد لله عبيطه، ومعنى هذا أننى أخذت نصيبى من المشكلات، لن تقابلنى مشكلة أكثر من أننى عبيطه، لذلك الدنيا معى بسيطة وحلوة.

أغلق الباب. فتح التلفزيون. أخبار عن الحرب فى الشرق والغرب، عن إعصار كاترينا، عن الرياضة والطقس المعتدل. لا أخبار عن المياه.

نزل السلم وهو يصفر، السلم مظلم والشارع مظلم ولكنه يحفظ الطريق. ارتطم بشجرة أمام بوابة البيت مباشرة. صرخ ووضع يده على رأسه. الشجرة ضخمة حتى أنها تسد البوابة ولا تدع سوى مساحة ضيقة للعبور بصعوبة. متى زُرعت هذه الشجرة؟ ومتى نمت؟ سند يده على جذعها الضخم ونظر إلى السماء. كانت عالية وأوراقها مختفية فى الظلام، وقف إلى جوارها قليلا، سمع ثرثرات عصافير لم تنم بعد، وسمع خطوات جاره عائدا إلى المنزل.

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام.

-كيف الأحوال.

-الحمد لله.. هل ترى هذه الشجرة؟

-نعم.

-متى جاءت هنا؟ من أين جاءت؟



fb/mashro3pdf

-لا أعرف.. أمر عجيب فعلا.. هل رأيت إعصار كاترينا؟ لقد دمر مدينة كاملة بأمريكا، وقبلها كانت أمواج "تسونامى" التى دمرت سواحل جنوب شرق آسيا بأكملها العام الماضى، أكثر من ١٥٠ ألف قتيل وملايين المشردين. ماذا يحدث للعالم، هل هى علامات القيامة أم ماذا؟ ارحمنا يا رب!

-آه.. نعم.. ولكن الشجرة؟

-لا أعرف.. غريب أن تظهر شجرة هنا، وأمام البيت مباشرة، فى أى زمن نحن؟ ولكن الحمد لله أننا بعيدون عن هذه الكوارث. حتى الزلزال الذى ضرب أراضينا منذ خمس عشرة سنة لم يُخلّف سوى عدد محدود من الضحايا.. الحمد لله.

-الحمد لله.

-هل تريد أى شىء؟

-شكرا.

انصرف متجها إلى المقهى، كيف يمكن لشجرة بتلك الضخامة أن تنمو دون مياه؟ فكر أن ثمة أمر غريب، ثم أدرك أن حذاءه عاد إلى مقاسه..

-هل كبرت قدماى أم صغر الحذاء؟

بادر المعلم بالتحية..

-لا أخبار عن المياه بعد؟

-لا.. يبدو أنها ستتأخر.. الله يخرب بيوتهم.. ولكن الحمد لله الحال ماشى، والناس تأتى لتتحدث وتلعب.

-وماذا يفعل الشخص إذا أراد كوبا من الماء؟ يسافر إلى مدينة أخرى؟



fb/mashro3pdf

ضحك المعلم عاليا..

-حتى ذلك لن يفيد، ابن عمى أتى من الصعيد بالأمس، لا توجد مياه هناك أيضا.

شعر بالكلمات مِلْحا فى حلقه. نظر إلى السماء فكانت سحبا خفيفة. اطمأن بعض الشيء.

فى الصباح كانت رائحة فمه هى ما أزعجه، لم يستطع غسلها، اشترى سواكا لكن الرائحة لا تطاق.

الأوانى متسخة وحزينة فى المطبخ. قالت له..

-أمى كانت تنزل فى الصبح الباكر لتملأ المياه من صنبور عام فى الشارع، لم يكن فى بيتنا مياه، اليوم الحمد لله فى بيتنا مياه، صحيح أنها مقطوعة، ولكن إلى متى ستظل مقطوعة؟ لا بد أنها ستعود، قبل ذلك كان الناس يشترون المياه من السقا، هل تظن أن الناس ستعود لتشترى المياه من السقا من جديد؟

ولكن من أين يأتى السقا بالمياه؟

على المقهى سأل صديقه..

-هل نستطيع أن نبقى سنة دون مياه؟

-ها.. فى مدينة كتلك لا أحد يموت من العطش.

لم يذهب إلى العمل اليوم، خرج يتمشى فى الشوارع وقادته قدماه إلى النيل. فصدمه المشهد..

كان مجرى النيل خاليا.. طين جاف متشقق عطشان. أعشاب بنية وخضراء، قواقع تعفنت داخلها الكائنات الرخوة.. مراكب راسية كحيوانات نافقة، وكان الناس سعداء..



fb/mashro3pdf

الأطفال يلعبون فى المجرى الساكن، يصطادون الأسماك الميتة ذات العيون المفتوحة. البنات والأولاد وباعة الذرة المشوى والزهور..

-كيف تنبت الزهور دون مياه؟

نظر إلى السماء. كانت فى لون الحديد الصدئ ورأى سحابات خفيفة..

-الحمد لله أن الماء لم يختف من العالم وإلا متنا من العطش.

ضحك لسذاجته والفكرة.

فى الصباح التالى وجد الخبر فى إحدى الجرائد المعارضة. أربعة أسطر فى الصفحة الأولى: "انقطعت المياه منذ أيام عن سائر المدن المصرية، ولم يذكر المسؤولون السبب، لكنهم أكدوا أن كل شىء على ما يرام، وأن المياه ستعود لمجاريها قريبا"

على المقهى قال له صديقه..

-طبعا.. يشربون المياه كلها ولا يتركون لنا شيئا. هذه هى الحكومات الطاغية فى كل زمان ومكان، تعرف.. حتى لو جف النيل كما تقول فسيشربون المياه من الخارج، الأموال معهم وكل شىء معهم، ونحن.. لن يهتموا بنا لو بقينا سنة كاملة دون مياه.

-وهل نستطيع أن نبقى سنة دون مياه؟

ضحك الصديق..

-لقد سمعت عن ناس فى مدينتنا ماتوا من الحزن. أخى مات من الحزن. وسمعت عن فقراء فى مدينتا ماتوا من الجوع.. ولكن هل سمعت أنت عن شخص مات من العطش؟

صعد السلم وهو يقول..



fb/mashro3pdf

-لم نسمع عن أحد مات من العطش فى مدينتنا.

فى اليوم السادس ساءت حالته. لم يعد فى الثلاجة ولا فى المدينة فص برتقال واحد. أول أمس دخل على مديره فى العمل لينقدم بطلب إجازة. كان الرجل مبتسما كعادته، وإن لم يكف عن الهرش طيلة اللقاء، ملابسه مهلهلة وشعره منكوش وعيناه غائرتان، بدا مريضا جدا وإن كانت حالته النفسية مرتفعة للغاية.

-إجازتك مرفوضة للأسف.. أنت تعلم ضغوط الشغل هذه الأيام، ستتوقف مصالح الناس. هل يرضيك أن تتوقف مصالح الناس؟

أراد أن يصرخ أن الناس يموتون من العطش، لكنه آثر الصمت.

على السلم قابله جاره..

-آه.. موضوع غريب فعلا، بالصدفة كنت أفكر فى هذا الموضوع فى تلك اللحظة بالذات.. مررت عليك أمس لأحصل الإيجار لكنى لم أجدك.. ما الذى جعل النيل يجف؟ ربما توقفت الأمطار فوق هضبة الحبشة، وربما شق السودان شبكة من الترع سحبت مياه النيل إلى الأراضى السودانية الشاسعة، أو أنشأ سدودا، ولو أنى أرجح أن أمريكا حولت ماء النيل.. أمريكا سبب كل المشكلات يا صديقى، أنت تعلم ذلك فأنت رجل متعلم ومثقف، وبالمناسبة.. إذا لم يكن معك نقود لا يهم، أمر عليك بعد أسبوع أو أسبوعين.. نحن جيران.

فكر وهو يصعد السلم..

-هناك شىء غريب.. هناك شىء غريب..

تذكر أن الشجرة الموجودة أمام البيت اختفت، ورآها جالسة على السلم فى انتظاره.



fb/mashro3pdf

مددت على الفراش بجونلتها الواسعة، وكانت ساقاها جميلتين.

-ألا توجد مياه عند الطبيب؟ هل شربتِ من عنده فى الأيام الأخيرة؟

-هممم.. لا.

-لماذا؟ ألا تشعرين بالعطش؟

-نعم.. أحيانا أشعر بالعطش، أحيانا كثيرة أشعر بالعطش، أستيقظ من النوم وأتمنى أن أجد كوب ماء إلى جانب الفراش، ولكن عندما أستيقظ أنسى العطش لأفكر فى حاجيات أخرى، لا يمكن أن أقضى طوال الوقت وأنا أفكر فى العطش وإلا لن أعيش، سأموت من التفكير فى العطش قبل أن أموت من العطش، أنا أفضّل أن أفكر فى مستقبلى، بالمناسبة.. صديقك تحرش بى اليوم، أراه يراقبنى من المقهى كل يوم وأنا أنزل من عند الدكتور، لم أحك للدكتور حتى لا أضايقه، هو رجل حساس، وربما يبكى لو حكيت له، لكن صديقك هذا قال لى اليوم إنه يريدنى، وعرض على نقودا، أنا لم أزعل، صدقنى لم أزعل، ليس لأنى عبيطة، ولكن لأنى أعرف أنه لا يقصد أن يهيننى.. لماذا نأخذ الناس بسوء نية؟ أنا لا أهمه أساسا، ولا يعرف اسمى، ربما أثارته ساقاى، أنت نفسك قلت إن ساقىَ جميلتان، ولكن الكلمة من شفتيك كانت لطيفة، أما هو فعرض على نقودا. كان يريد أن يشبع عطشه، وأنا أوضحت له إننى لا أتدلل عليه، ولا أريد أن أرفع أجرى، وإننى لا أبحث عن النقود أو الفحولة، وإننى أحترم إعجابه بى ورغبته فى، ولكن عليه أن ينصرف الآن لأنى لا أريده، وإذا لم ينصرف سأصرخ الآن فورا، وسألم عليه الناس، وهو كان لطيفا وانصرف.. هذا كل شىء. أنا عبيطة أن أقول له هذا الكلام، وأن أقول لك هذا الكلام وأنت صديقه، أرجوك لا تتشاجر معه، خذ الأمور ببساطة.

fb/mashro3pdf

أنا أعرف أنك طيب، الموضوع انتهى، أنا فقط ثرثارة، ذلك هو عيبى الوحيد إلى جانب أنى عبيطة، نعم.. أنا ثرثارة، كان يجب أن أخفى عنك هذا الموضوع، لكنى لا أحب أن أخفى عنك شيئا، لأنى أحبك، لماذا تضحك.. نعم أحبك، وأحب الدكتور أيضا، أرجوك لا تغار، أنا أحبك أنت أكثر.. هه.. مبسوط؟ المهم أنا كنت أقول إننى أحب أن أتكلم أولا بأول حتى لا أحمل معى أى ذكريات مكتومة، وأصبح حرة لاستقبال الذكريات الجديدة.

نسى كل شىء.. وتذكر كلمة الحب، فسال لعابه واستقرت معدته.

قالت له..

-تعالى لنتمشى على الكورنيش..

-أى كورنيش.. لم يعد هناك نيل.

-ها.. لاحظت ذلك، ولكن لا تكن كئيبا، تعالى معى وسوف أصفه لك وكأنك تراه.

أمسك بيدها وسارا فى الشوارع.

-أمر عجيب.. يدى اليمنى كبيرة، لم تكن هكذا من قبل.

-لا عليك أنا أحب الأيدى الكبيرة، أريد ليدى أن تنام كلها فى يدك، ها هو النيل.. ألا يعجبك؟ سأصف لك النيل القديم إذن، المياه لونها وردى، والمراكب تفرد أشرعتها وتطير فى السماء، الصيادون يرمون الطعام للأسماك، والأسماك تتقافز لتلقى قبلات إلى العشاق على الشاطئ، والعصافير تغطس فى المياه لتستحم ثم تخرج منتعشة، اشتر لى وردة..

-نعم؟

-اشتر لى وردة..



fb/mashro3pdf

اشترى لها وردة ذابلة..

-هل يمكن أن أثرثر أناً قليلا..

-ولو أنى لا أحب الشخص الثرثار لكنى سأسمح لك بالثرثرة لتعرف كم أحبك، خذ راحتك وتكلم كما تريد، سأتحول أنا كلّى إلى أذن. لا تتصور أننى لا أجيد السماع لمجرد أنى ثرثارة، أنا أيضا أحب الحواديت، احك لى حواديت، أو احك لى أى شىء تريده، نعم، سأكف عن الكلام الآن، لكن بشرط أن تتكلم، وتتكلم كثيرا، لأنى لا أحب الصمت.. تفضل.

ضحك.. ضحك.. ضحك.. نظر إلى انعكاس صورتهما فى واجهة زجاجية، كانا اثنين من المتشردين، الناس جميعا بدوا متشردين، والحياة بدت وكأنها فى أواخر أيامها.

ضحك.. ضحك.. ضحك.. ثم تنهد وحكى..

-حياتى فارغة.....

صمتت تماما، وفتحت فمها، وبقيت كذلك، فى حين فكر هو أنه لو مات اليوم لما خسر أى شىء.. ماذا فى حياتك، وماذا تريد أن تفعل، فلتمت وينتهى الأمر، حاول أن يتذكر أى شىء مميز فى حياته أكثر من الجلوس على المقهى وقراءة الجرائد والفرجة على التلفزيون ونكتة مع الأصدقاء.. لا شىء أكثر من ذلك.. لا شىء سوى تلك العبيطة التى تفتح فمها الجميل أكثر مما تغلقه.. لهذا السبب يحبها؟

-أحبك..

سقطت على الأرض.

على الفراش قال..



fb/mashro3pdf

-حلقى جاف..

-أنا مصابة بالصرع، وقد أموت فى إحدى تلك النوبات، وأنت مازلت تتكلم عن العطش؟ اسمح لى أن أقول إنك إنسان غريب، وأنا لا أحبك، كل ما يشغلك هو العطش، إنك حتى لا تستطيع أن ترانى، ولا تحبنى، ولا تريد أن تنام معى، أنت طيب ولكنك لا تعرف الحب، وأنا عبيطة لأنى أحببتك.

انصرفت غاضبة، فكر فيها كثيرا.. ثم نام.

لم تأت فى اليوم التالى، وقضى هو النهار فى الفراش، وفى المساء جاءته أفكار فلسفية من جهة غامضة.

وازن بين النزول وفقدان بعض المياه فى المشى، وبين البقاء فى الفراش واختزان ما يحتاجه من مياه. قرر النزول. كان يحس أن الحياة والموت وجهان لعملة واحدة. ما يدفعه للحياة هو نفسه ما يدفعه للموت، وما يؤخر عنه الموت هو ما يؤخر عنه الحياة.

-أخرج وأعيش وأموت، أم أبقى وأموت وأعيش؟

اندهش.. وفكر أنه شاعر، فقرر الخروج.

لم يذهب للنيل الجاف، لكن الموت فى كل مكان، الكلاب تحتضر على الأرصفة، والقطط دائخة فى الشوارع، والعصافير تسقط مثل أوراق الشجر، والفئران تسير بتؤدة غير خائفة من البشر أو القطط أو الكلاب.. الذباب يملأ الدنيا، وحشرات أخرى لم يعرفها من قبل.. حركة الناس خفت. البعض اختفى. الدنيا ليست كما تبدو بالتأكيد، لا بد أن كثيرين رحلوا إلى بلدان أخرى، أو ماتوا، أو يرقدون مرضى. إن المدينة تنهار، لكن أحدا لا يريد الاعتراف بذلك.



fb/mashro3pdf

وضع كفه اليمنى قبالة اليسرى.. كانتا متساويتين..

-لا يجب أن يتملكك اليأس.. الحذاء اتسع وضاق، والشجرة ظهرت واختفت، وكفك كبرت وصغرت، والماء انقطع.. لا بد سيعود. هكذا مصير كل شيء.. فقط علينا أن ننتظر.

فى الليل حاول أن يكون سعيدا، لكنها لم تأت اليوم.. وأحس أن حياته عادت كما كانت..لا قيمة لها.

نظر فى المرآة فرأى عينيه الغائرتين، والبثور الحمراء التى تغطى وجهه، وأحس بحجارة فى كليتيه.

شعر أنه يموت من العطش.. ثم نام.

فى نومه فكر فى المياه، ثم فكر فى العبيطة التى ضاعت منه وربما لا يجدها ثانية. وجاءته الحكمة من مكان غامض، الأمران بنفس القيمة، فكر لو كان فى موضع اختيار هل يختارها أم كوبا من الماء؟ هل يمكن أن يبيعها بهذا الثمن البخس؟ كوب مياه؟ كوب مياه واحد؟ وهل يمكن أن يضحى فى سبيلها بهذا الثمن الفادح فيموت عطشا؟

قال إنه شاعر.. ونام وهو نائم. حلم أنه يعوم ويعوم ويعب المياه فى حلقه.. حتى اختنق.

قبيل الفجر استيقظ على رنين جرس إنذار سيارة. خرج إلى الشرفة، كان شحاذ عجوز ذو لحية طويلة، يخبط بيده على السيارات بهدوء فيرن الإنذار، يقف ثوان كى يستمع إليه ثم ينتقل إلى سيارة تالية، وثالثة. وخامسة. لكن أحدا لم يستيقظ. ظل يراقبه وهو يتنفس رائحة الصباح القوية الجميلة المنعشة، نظر إلى السماء الصافية، وتساءل هل ثمة بخار

fb/mashro3pdf

ماء فى الجو؟ فتح الثلاجة، وجد بضع قطرات فالتقطها بلسانه، كاد لسانه يلتصق بالجدار الأبيض، لكن عطشه لم يُرو.

نزل ليصلى الفجر ويدعو الله. الميضة ممتلئة بالرمال الجافة. والشيخ استبقاهم بعد الصلاة.

-إخوتى.. السلام عليكم. أحب أن أتكلم معكم اليوم حول موضوع فى غاية الأهمية، المياه مقطوعة عن المدينة، ويقولون إنها مقطوعة عن البلاد بأكملها، والناس لا يجدون ما يتوضؤون به، لكن الشرع صريح صريح.. والله قال لكم إن لم تجدوا ماء "فتيمموا صعيدا طيبا"، وقد وفرت لكم إدارة المسجد بعون الله كمية من الرمال تكفى وتزيد، لذلك أريد من كل منكم أن يعظ أصدقاءه وجيرانه وأقاربه الذين يتهربون من الصلاة بدعوى عدم وجود مياه للوضوء.. والله الموفق لنا جميعا.

عندما صعد السلم كان يموت، حتى أنه شك فى كونه حى، أراد أن يتبول ليثبت لنفسه أنه حى فلم تخرج نقطة واحدة، نظر إلى الزجاجة التى كان يحتفظ فيها ببوله فى الأيام الماضية.. فكر أن عليه أن يشرب هذا البول، ولكنه فضل الموت.

أغشى عليه من اليأس.

فى المستشفى استيقظ فى فراش مملوء بالعرق ورائحة عفنة وبراغيث ميتة وحكة جلدية وألم فى العدة والكليتين.. وجدها والطبيب بجانبه. طلب ماء.

-بسيطة يا سيدى.. هاتوا له ماء.

انتابته زغطة..

-هئ.. معذرة.. هئ..



fb/mashro3pdf

لم يجدوا ماء.. فاعتذر له الطبيب.. شكا له من ألم فى جنبيه، وقال إنه يموت..

-لا تقلق.. إنها بوادر فشل كلوى، لكن كل ذلك سيُحل عندما تعود المياه ونعلق لك المحاليل.

فى الليل كان قبل الموت بخطوتين، فقط يتنفس وينتفض مع الزغطة..ظلت معه.

-أريد أن أنام معك.

-أحبك..هئ.

-وأنا أحبك.

-أريد..هئ.. أن أنام معك.

-فقط انس العطش، فكر فى ساقىّ الجميلتين، انظر، أنت تحبهما، صح؟ ضع يدك عليهما، ناعمتان؟ تحسسهما.. اصعد، انزل، ها أنت مستعد..

لدقائق قليلة شعر أنه حى، كان سعيدا، وكذا كانت كليتاه ومعدته، كان ينتفض بتأثير الزغطة، وانتفض أخيرا دون أن يخرج شىء من جسده، وأطلقت هى ضحكة عالية.

نام سعيدا وراودته فكرة خافتة مع دقات قلبه الخافتة بدت له كحقيقة عصية على الاكتشاف.. قال فى نفسه..

-إنها قد تمطر غدا.. هئ.. وقد لا تمطر..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# موتو

قميص هاواى

مكتبة الأسرة ٢٠١٣

fb/mashro3pdf

واصل أحمد حديثه بجدية شديدة وهو يبطط قطعة الحشيش استعدادا لتعليقها فى "دبوس" آخر بينما كنت أنا منفجرا فى الضحك والسعال: "والله العظيم أنا لا أبالغ. أنا شفت هذا المنظر بعينى التى سيأكلها الدود، المساجين كانوا يمشون على الحائط. صدقنى. أنت لم تدخل الحجز فى قسم المنتزة من قبل. كيف أصفه لك؟ هل ترى تلك الطرقة؟ الحجز طرقة مثل هذه، عرضها حوالى متر ونصف، وطولها حوالى عشرة أمتار، وتضم أكثر من ستين رجلا. أنا دخلت الحجز فى خناقة عادية، وكان من المفترض أن يعرضونا فى اليوم التالى على النيابة. كان المنظر مخيفا، البعض كان يجلس بفردة واحدة من مؤخرته، والبعض قضى الليلة كلها واقفا، فى هذا الحجز يتم تخصيص المساحات بالشبر، أنت لك شبر، وهذا له شبر وقبضة، وذاك له "شبرين"، كل حسب مكانته. أما إذا أردت أن تقضى حاجتك فالحمام فى آخر الممر، ومعنى ذلك أنه سيكون عليك أن تقطع كل تلك المسافة وسط كل هذا الكم من الأجساد المجرمة، وبالطبع فإن احتمال أن تدوس على أحدهم عفوا يتجاوز التسعين بالمائة، وساعتها لا يمكن أن تتخيل رد الفعل. الشخص الذى دست على يده يمكن أن يضربك بموس يخبئه داخل فمه، أو يكتفى بشتيمتك وشتيمة اللبؤة التى أنجبتك، ويمكن أن يسامحك أو يقبلك من



fb/mashro3pdf

فمك.. أى شيء يمكن أن يحدث. أى شيء. لذا فإن الطريق الوحيد للوصول إلى الحمام فى أمان هو أن تمشى على الحائط، بيديك وقدميك، أن تحشر جسدك بين الحائطين، يداك على حائط، وقدماك على الآخر، وتتحرك واحدة واحدة، وعلى أعلى ارتفاع ممكن تجنبا أن ينغزك أحدهم من باب الهزار فتسقط كانبلاص فوق رءوس ستة من المجرمين. أنا يا أخى شفت هذا المنظر وقلت إنها ستكون ليلة مثل الخراء على نافوخى.. لكنى لمحت موتو".

سحب نفسا عميقا من الكوب، كاد أن يسعل فكتم نفسه، ثم فتح فمه على وسعه وأخرج خيطا رفيعا للغاية من الدخان وهو يناولنى الكوب.

قال أحمد: "موتو رحب بى، وخصص لى مكانا إلى جواره، مكان محترم استطعت أن أقفز فيه، ثم أربّع، ثم أتمدد نائما مع ثنى الركبتين حتى الصباح. موتو كان جارى فى المنطقة. اسمه محمد توفيق، لم يدخل مدارس، وكان أبى دائما يحذرنى من صحبته، لكننى كنت أحبه، لا.. ليس الحب هو الكلمة الدقيقة، من الصعب أن يحب أحد موتو. كنت أحترمه، أنظر بإجلال إلى تجربته وخبرته، وهو كان مؤدبا، لا أقصد أنه كان يقول "مامى ودادى"، كان مؤدبا يعنى كان يعرف الأدب. وتصاحبنا. هذا الكلام كان من عشر سنوات تقريبا، أنا كنت فى الكلية، وهو سبقنى فى الحياة العملية، وكان يشغل وظيفة صايع".

ضحكتُ فضْحك أحمد. ضحكته هادئة فى صوتها، مجلجلة فى مظهرها. قادرة على إسعادك أكثر من ضحكتك. أنت شخصيا. تضيق عيناه. ويتكشف صفان من الأسنان المنتظمة فى اتساعها. كلها بنفس الدرجة الرقيقة من الصفار. ضحكتى أنا مجلجلة، تحاول شد السعادة إلى أقصاها،



fb/mashro3pdf

واقتناص فرصة كأنها لن تأتي ثانية. ضحكته هو راسية مطمئنة، تعرف حدودها ولا تتعداها.

قال أحمد: "أنت تضحك! الصياعة وظيفة. عندما تكون صايع فهذا معناه أنك تكسب رزقك من الصياعة. أنا كنت أشتغل صايع "بارت تايم" عندما أكون بصحبته. في أغلب الأحيان لا يكون معنا نقود، نمشي هائمين في شوارع الإسكندرية، على البحر وفي المناطق الراقية، لو كان معنا سيجارتين حشيش حششنا، لو كان معنا شريط برشام برشمنا، لو لم يكن معنا نحاول أن نتصرف. في بعض الأحيان كنا ندخل منطقة راقية هادئة، نجلس على أحد الرصفان، نتحدث، ذوقنا مختلف في كل شيء، أنا أسمع موسيقى أجنبية وهو يسمع أحط وأوسخ أنواع الموسيقى، أنا أقرأ روايات وهو لا يشاهد حتى التلفزيون. أنا لي صديقات ولي علاقات عاطفية، وهو لا يعرف إلا موسمات رخيصات جدا. أنا أهتم بالسياسة العالمية وهو لا يهتم سوى بسياسة "المنطقة" التي يسكن فيها، والتي تحسم عادة عن طريق المشاجرات".

قال أحمد: "تعالى نشرب شاي". دخلنا المطبخ. أنا أغسل كوبين، وهو يضع البراد على البوتاجاز، ويضع الشاي والسكر في الكوبين، يشعل سيجارة وأشعل سيجارة. أبدي إعجابي بالقميص الذي يرتديه، يقول إنه اشتراه من ألمانيا "بعشرة يورو". أدخل الحمام. أتبول. أنظر لنفسي في المرآة. أجدني مبتسما. أقول لنفسي إنني مسطول، فأبتسم أكثر.

قال أحمد وهو يشفط رشفة من الشاي: "خليني أكمل لك. أنا وموتو كنا مختلفين في كل شيء، لكننا كنا دائما قادرين على إقامة حوار، لا أذكر الآن فيما كنا نتكلم، لكننا كنا نتكلم، كانت آراؤه المجردة في



fb/mashro3pdf

الحياة تشبه آرائى المجردة فيها. كل منا له عالم مختلف، لكن هناك قيم تجمعنا، قيم شكلها مختلف، لكن جوهرها واحد.. هل تفهمنى؟ يعنى مثلا أنت قد ترى قطة رضيعة فى الشارع فتأخذها لكى تعتنى بها من باب المروءة، هو قد يرى طفل شارع فيمنحه نصف جنيه ليشترى به "كُلّه" يستدفئ بها من باب المروءة نفسها."

قال أحمد وهو يبطط حشيشة أخرى: "كنا نجلس على الرصيف، وإذا لمحنا شابا يمشى وحده فى الليل ويبدو عليه الثراء، كنا نستوقفه. كنت أنا الذى أتحدث إليه. موتو كان فقط ينظر إليه بعينين ثابتتين. نظرة تقول: أنا لا أسرقك، أنا آخذ حقى، ومستعد أن أموت من أجل هذا الحق. أنا كنت أتكلم، كنت أقول له بصرامة: "كابتن.. بعد إذنك سنأخذ منك عشرة جنيهات لأننا محتاجين لها". كانت هذه الطريقة تنجح دائما، أنا بأسلوبى المهذب الذى يرفع الحرج عن الشاب الذى يمكن أن يقنع نفسه أنه يساعد إخوته الشباب، وموتو بنظرته الحادة وجسده المدكوك الذى يجعل الشاب يطرد أى أفكار هوجاء قد ترد بخاطره".

أشعل أحمد الدبوس. صمت تماما حتى امتلأ الكوب بالدخان. سحب الدخان بأنفه. ناولنى الكوب. أخرج الدخان. تنفس شهيقا وزفيرا ثلاث مرات.

قال أحمد: "مرة واحدة رفض شاب أن يعطينا النقود. وفى لحظة واحدة كانت يد موتو اليسرى الحديدية تمسك بعنقه وتضغط عليه وهو يقول بهدوء شديد: "طب هاخد كل الفلوس اللى معاك وهاطلع دين أمك". كانت أسرع حالة اختناق أراها فى حياتى. بعد ثلاث ثوان رأيت الروح وهى تبدأ فى الخروج من أنفه. رأيتها وسمعت صوتها. رأيت العينين



fb/mashro3pdf

جاحظتين ومدمعتين. رأيت لعابا يخرج من بين الشفتين، مصحوبا بخوار مخيف. بسرعة دخلت بينهما ودفعت موتو بيدى اليمنى والشاب بيدى اليسرى بأقصى قوة. انفلت الشاب فدفعته بعيدا وقلت له أن يرحل بسرعة. موتو كان هادئا، ترك الشاب يرحل، وجلس على الرصيف. أشعل سيجارة. لم يتحدث معى، ولم يعاتبنى".

قال أحمد: "أنا جوعان"، فانتقلنا ثانية إلى المطبخ. رغيف واحد اقتسمناه، قطعتان من الجبن الرومى. ثم رشفنا الماء البارد من زجاجة واحدة.

قال أحمد وهو يلف بقايا الحشيش -التى لا تصلح للتشكيل- فى سيجارة: "أنت تفكر الآن أن تلك الأفعال شريرة. ومعك حق. اسمها فى القانون "سرقة بالإكراه". لكننا فى عالم شرير يا صديقى. أنت تضع نفسك مكان الشاب الثرى الذى كان متجها إلى بيته فى أمان، وقابله اثنان من الأشقياء. لكن هذا عالمك. عالم القطة الرضيعة التى يمكن أن تصحبها إلى بيتك وتعتنى بها. هناك عالم آخر، فيه اثنان من الشباب فى العشرينيات لا يمتلكان حق الكيف، ولا حق السجائر. أنا كنت أستطيع العودة إلى بيتى. سيصيبنى الملل لكننى سأتحمل. هو لم يكن يملك تلك الرفاهية. له بيت نعم، لكنه بيت يصلح للنوم وليس للإقامة. عليه أن يسعى، أن يمارس مهنته كصانع".

قال أحمد وهو يلعق ورقة البفرة ليحكم إغلاق السيجارة: "موتو مجرم. بالتأكيد مجرم. محسوب من الأشقياء، بل عرفتُ فى الحبسة معه أنه صار مسجَّل "جرائم نفس". أنا لا أدافع عنه. ربما كان من الأفضل للجميع أن يظل بقية حياته فى السجن. لكنى أقول إن له أخلاقه



fb/mashro3pdf

الصارمة. أخلاقه التى يتباهى بها. ذات يوم جاءنى وقميصه ملوث بالدم. سألته فقال إنه ضرب أحدهم. قال إنه كان يعاكس إحدى الفتيات، ثم جاء رفيقها. موتو اعتذر للشاب. اعتذر مرة واحدة. قال "لا مؤاخذة.. أنا آسف". قالها بصدق. ليس عن ضعف، وليس فضا للمجالس، ولكن انطلاقا من مفهومه عن الأدب. موتو يقدر كلمة الاعتذار، يقدسها، يعتقد أنها تجبّ ما قبلها، وأن مجرد رفض الاعتذار هو إعلان حرب صريح، وفى الحرب موتو لا يناوش أو يناور، لا يخطط أو يدبر. إنه يهجم، ليهزم أو ينهزم، مرة واحدة وبسرعة. الشاب رفض الاعتذار، أعلن الحرب، وموتو ضربه حتى أسال دمه، ثم اعتبر أن المعركة انتهت فسار فى طريقه".

قال أحمد مغيرا مسار الحديث فجأة: "ابنى بلال عمره ثلاثة أشهر. أحيانا ما أجلس بجانب فراشه بالساعات، أحدثه وأحدثه، أسأله عن رأيه فى الأحداث العالمية، أقول له: الحكومة اليمنية شنت حربا شاملة على الحوثيين، أقول له: الإصلاحيون فى إيران يتظاهرون ضد أحمدى نجاد. أقول له: القراصنة الصوماليون يهددون حركة الصيد والتجارة فى البحر الأحمر. أحيانا ما أحكى له قصة الشهيد الذى صعد إلى السماء، فطلبت الملائكة من الشهداء أن يقفوا صفا واحدا، وسألوا كلا منهم عن طريقة استشهاده، حكى كل منهم عن عمله البطولى، حتى جاء دور صاحبنا، سألوه فأجاب بكل فخر وكبرياء إنه فجر نفسه فى مسجد عراقىّ أثناء صلاة الجمعة. وطلب منهم أن يفتحوا له الباب بسرعة لأنه مستعجل".

قال أحمد: "بلال لا يرد علىّ، يظل ينظر لى فى دهشة وأنا أحكى له كل هذا، أحيانا يبتسم، وأحيانا يعقد حاجبيه، وأحيانا يحرق محاولا



fb/mashro3pdf

طرد الغازات من بطنه. بلال لا يعرف ما الذى ينتظره فى هذا العالم. عالم به أمريكا وإسرائيل وبن لادن وشيشان وبوسنة وانفلونزا خنازير وسيخ وبوذيون ومسلمون ومسيحيون وقنابل عنقودية ودعارة أطفال وصينيون كثيرون وزلازل وبراكين وأطعمة فاسدة وأدوية فاسدة وخرسانات مبانى فاسدة وموتو وطائرات إف ١٦".

قال أحمد: "موتو ليس شريرا مثل جورج بوش، ليس شريرا مثل بن لادن، موتو مجرد حيوان مفترس، وحش كاسر فطرى يمكن أن يقتلك ليأكلك أو لأنك أثرته، وأبدا لا يبتسم حين يفعل ذلك. تعرف.. أنا أدمنت لعبة على الكمبيوتر، لعبة محاكاة لطائرات الإف ١٦، قمت بطلعات جوية عديدة وقصفت أهدافا فى الشيشان وأفغانستان وسوريا، تلك اللعبة تشعرنى بمتعة شديدة. هل يشعر الطيارون بنفس المتعة؟ هل يشعر القادة العسكريون الذين يعطون أوامر القصف بنفس المتعة؟"

قال أحمد: "إننا فى عالم شرير يا صديقى. صدقنى لا يهمنى إن سجنوا موتو مدى الحياة أو أعدموه أو ألقوه للكلاب المفترسة. أنا وموتو لم نعد أصدقاء. لم أعد أستطيع التعامل معه. موتو يمكن أن يموت فى أى وقت. عندما كنت أجلس إلى جواره فى الحجز سألته عن ذلك الجرح الطويل فى جانب عنقه الأيمن، الممتد من إذنه حتى قرب حنجرته، قال إنه كان فى السجن قبل سنة، وضجّ بعض الأشقياء من سوء المعاملة، قرروا أن يهدموا المعبد على الجميع. قرروا أن أحدا لن يعيش طالما استمرت ظروفهم بهذا السوء، اقتحموا زنزانته وهو نائم مع زملائه وضربوهم بالسيوف. حاول أحدهم ذبحه. هكذا. دون سبب مفهوم. قال موتو إنه لم يكن بينه وبين من حاول ذبحه أى عداوة شخصية. بل لم يكن يعرفه، لا



fb/mashro3pdf

هو ولا أى واحد من عصابته. موتو لن يذبح أبدا شخصا لا يعرفه. صدقنى. هناك من هم أكثر شرا من موتو فى هذا العالم".

صمت أحمد. أرجع رأسه إلى الخلف وأغمض عينيه. كان يستريح أو يتذكر حادثة ما. قمت وتحركت ببطء إلى المطبخ. فتحت الثلاجة ووقفت أمامها. أخذت أتأملها دقائق دون أدنى فكرة عن السبب الذى جعلنى أفتحها. تذكرت أننى أخطأت طريقى، وأننى كنت أريد الذهاب إلى الحمام. غسلت وجهى. شربت. تبولت. فكرت. أخذت أحاول أن أرسم صورة لموتو فى ذهنى، لم أره من قبل، لكن صورته جاءتنى واضحة، ودون بدائل أو اختيارات. كانت تلك الصورة هى صورة موتو. أنا متأكد من ذلك. أراهن على ذلك. قلت سأذهب إلى أحمد وأصف له موتو وصفا دقيقا، وسيندهش أحمد. سيصدق على كل تفصيلة أقولها. لكن لماذا الدهشة؟ لقد كان موتو حاضرا معنا.

عدت إلى أحمد لأقول، فسبقنى وقال: "مرة من عشر سنوات تقريبا كنا نتمشى على شاطئ المندرة، كنا جوعانين جدا، كانت معى نقود، لكن لم تكن هناك أى مطاعم مفتوحة فى ذلك الوقت. وفجأة شممنا نحن الاثنين، فى اللحظة نفسها، رائحة "حواوشى". بدأنا نبحث عن مصدر الرائحة، اقتربنا من السور. مد موتو يده وسحب كيسا. فتحه فوجد به بواقى بعض أرغفة الحواوشى. حواف أرغفة كثيرة مقضومة. كان واضحا أن عائلة كاملة تناولت طعامها ثم ألقت بالكيس المتلئ بالبقايا. مد موتو يده وسحب قطعة ووضعها فى فمه. ثم نظر إلىّ فجأة. كان خيارا صعبا. أقول لك إنه كان من أصعب خيارات حياتى. نعم. تلك اللحظة على تفاهتها كانت خيارا رهيبا. أن آكل معه أو أن أتقزز. أن أكون فى عالمه أو



fb/mashro3pdf

خارجه. أن أكون معه أم مع الآخرين. بمعنى آخر، وبكل وضوح، أن أكون صديقه أو عدوه".

قال أحمد: "لم يستمر ترددى أكثر من ثانيتين، حتى أن موتو لم يلحظه. مددت يدى فى سرعة والتقطت قطعة سمينة مملوءة باللحم، ووضعتها في فمى. أكلتها، وبتلذذ، ثم أكلنا قطعة بعد أخرى. مددت يدى فى عمق الكيس فوجدت بقايا عنب مفعوص، تناولت حفنة وأعطيته أخرى. لا أستطيع أن أصف لك إحساسى ساعتها. كان إحساسا عظيما. لقد شعرت بالقوة، شعرت كما لو أننا صرنا أخوين بالرضاعة. وامتدت طاقة تلك العلاقة القوية لتنير روحى بشحنة مبهجة".

قال أحمد: "الأشياء ترتبط ببعضها أحيانا، لكل فعل رد فعل، حتى لو تأخر رد الفعل هذا عشر سنوات. حتى لو ظننت أنه لن يأتى أبدا. عندما نادانى موتو فى الحجز، وأجلسنى بجانبه، ورحمنى من ليلة لم أكن أعلم كيف يمكن أن تمر، اندهشت أنه تذكرنى أصلا. لم نلتق منذ سنوات طويلة، ولم يسأل أحدنا عن الآخر، وأصلا العلاقة بيننا -رغم كل ما حكيته لك- كانت سطحية. استمرت بضعة شهور، خرجنا فيها عشر مرات أو خمس عشرة مرة. لكنه كان يتذكر تلك اللحظة جيدا. لم نتبادل حوارا طويلا، فقط كلمتين منى وكلمتين منه، وانقطع خيط الحديث. هو أيضا كان قد تغير، كبر كثيرا وزادت نظرته قسوة، ومنحته الندبة الطويلة فى رقبته منظرا مخيفا. لكنى عندما شكرته على استضافته لى، قالها صراحة، قال: "عيب.. ده احنا واكلين حواوشى وعنب مع بعض". تعرف.. لولا ذلك لما كان من الممكن أن يعتبرنى صديقا حتى الآن."

صمتنا طويلا.



fb/mashro3pdf

قال أحمد: "لسه معانا حشيش؟"

قلت: "نعم"

قال أحمد: "ياللا نحشش".

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# قميص هاواى

fb/mashro3pdf

قررت اليوم أن أرتدى "قميص هاواى" للمرة الأولى، وبرغم مللى المزمن من كل ما حولى فقد كان مزاجى رائقا وكان الصيف قد حل فجأة فى غير موعده. القميص أزرق متخم بأوراق شجر بيضاء، جاءنى هدية من صديق بعد أن عاد من رحلته المربكة حول النصف الغربى من الكرة الأرضية.

لم يكن صديقى ثريا ثراء فاحشا يتيح له أن يقضى إجازاته فى هاواى، كل ما فى الأمر أنه كان يعمل فى السعودية وتعرف على أحد الأمراء، ووجد نفسه على متن طائرة خاصة تقطع المحيط بصحبة هذا الأمير، قضى صديقى ثلاثة شهور تقريبا ينزل بلدانا لا يعرفها، ويغادر بلدانا لم يرها، ينام فى جزيرة ليصحو فى جزيرة أخرى، حتى عاد إلى الوطن محملا برحلة تشبه الحلم المزدحم، كانت تفاصيل الرحلة الحلمية تتقافز على أعصابه، لم يكن سعيدا أو حزينا، لم يُصب بالفصام ولم يعتريه اكتئاب غامق، كان تائها فقط، وهى مشكلة بسيطة سيعالجها الأطباء سريعا فى المصحة النفسية. أنا عن نفسى متفائل، وأنتظر خروجه عما قريب.

fb/mashro3pdf

على أى حال تلك مشكلة صديقى، وبرغم كونه صديقى إلا أنه ليس بطل تلك القصة، وعلى ذلك يصح أن نتركه يتمتع بسريره الأبيض وعينيه الزائغتين، ونتكلم عما أردنا أن نتكلم عنه فى الأساس: "قميص هاواى".

جلب لى صديقى "قميص هاواى" من جزيرة لا يعرف اسمها، ولكنها كانت واحدة من تلك الجزر التى تشبه حقيبة محشوة بالشمس والهواء والرمال ومايوهات البكينى والنخيل والفواكه الاستوائية والأكلات البحرية، لذا فقد أطلقنا عليها اختصارا اسم "هاواى"، ومن ثم فقد أطلقنا على القميص "قميص هاواى"، وقد سرد لى صديقى المغامرة التى انتهت بحصوله على هذا القميص، ولكنى اعتبرت قصته من هذيانات خياله المريض، ولم أعرها الكثير من الاهتمام.

اليوم انقض الصيف على الشتاء دون أن يمنح فرصة لربيعنا المعتاد، ولأنى لا أُجلَ الربيع كثيرا فى هذا الجزء من الكرة الأرضية، لم أكتئب، وتعاملت مع الأمر ببساطة مثلما تعامَلَت الحشرات مع العصر الجليدى قبل مليون أو مليونى أو ملايين السنين. بل وقررت أن أستقبل الفصل الجديد بالقميص الجديد الذى كنت قد وضعته تحت السرير مع عدة الصيف الأخرى.

ولحسن حظى كان لدى بنطلون من الكتان الأبيض، وحذاء صيفى أبيض، فرششت بعضا من عطر الخوخ على رقبتى واكتمل الهندام. وضعت المفاتيح فى جيبى الأيمن، والموبايل فى جيبى الأيسر، وحافظة النقود فى جيبى الخلفى، والقداحة فى علبة السجائر، وعلبة السجائر فى جيب قميصى وغادرت منزلى العزيز دون أن أودعه. إذ لم أكن أتخيل وما كان من الممكن أن أتخيل أننى لن أعود إليه ثانية.



fb/mashro3pdf

منزلى على كل حال لا يستحق الكثير من الوداع، لو قيل لى إننى سأتركه غدا لما انشغلت به كثيرا، بل لدسست أغراضى فى حقيبتين واندلقت على السرير، ثم لصحوت وارتديت ملابسى وحملت الحقيبتين ورحلت دون أن ألقى له بقبلة. والواقع أن العيب ليس فى المنزل وحده، ولكن فىَّ أنا شخصيا أيضا، فعلاقتى بالأماكن قائمة على اللامبالاة المتبادلة. عندما كنت صبيا كنت أحلم بأن تكون لى شقة أنظفها وأعتنى بها، وأزرع الجرجير فى حديقتها، وأعلق الصور على جدرانها، وأملأ هواءها بالبخور والموسيقى. لكن الله منحنى شقة فثانية فثالثة، وكل ما كنت أفعله فور أن أدخل من الباب هو أن ألقى بملابسى فى أى ركن، ثم استلقى على الفراش، لأصحو فزعا ومتأخرا —لا أعرف على ماذا— فأنطلق إلى الحمام، وأخرج لأدخل فى ملابسى، ثم أمرق من باب الشقة. لذا لم أشعر بكثير من الأسى أننى غادرت شقتى بلا رجعة وبلا وداع.

عندما أغلقت الباب ونزلت إلى الشارع أعمَت حرارة الشمس عينىَّ، كانت صدمة قوية على أعصابى البصرية العليلة من الأساس، فدخلتُ فى شبه إغماءة استمرت لثوان وأنا واقف مكانى، وعندما أفقت من إغماءتى وبدأت أرى العالم من حولى مجددا، كان كل شىء قد تغير.

الآن أنا فى مساحة واسعة من الرمال يتقافز من حولى أطفال صغار يطاردون كرات بلاستيكية، ويتمدد أمامى شبان وفتيات بملابس البحر. البحر نفسه كان أمامى بلون أزرق داكن ملتحما بسماء فاتحة مبقعة بشمس عاتية. التفتُّ خلفى فلم أجد البيت، وأدركت أن حياتى القديمة ذهبت إلى غير رجعة.



fb/mashro3pdf

أنا متفائل بطبعي، لذا قررت أن أنظر إلى الجانب المشرق من الموضوع، وفنّدت الوضع الحالى كالتالى: أولا: يبدو ذلك العالم أفضل كثيرا من العالم الذى كنت أعيش فيه والذى أصابنى بملل مزمن لم تنجح أقراص الأطباء النفسيين ولا نصائحهم التبشيرية فى علاجه، ثانيا: مشكلاتى فى عالمى القديم ذهبت معه إلى غير رجعة وهذا أمر يدعو للسرور، ثالثا: أنا رجل صاحب موهبة وذكاء –بل ودهاء– وهذا سيمكننى أن أكسب عيشى هنا مثلما كنت أكسب عيشى هناك. رابعا: هذه فرصة لم أكن أحلم بها. أن تتغير حياتى فى طرفة عين لأعيش حياة جديدة، وكأننى ولدت من جديد، وكأننى عشت حياتين، وكأننى بوذى مخلص نقى القلب انحشرت روحه فى جسد آخر أكثر حظا.

وهناك خامسا أيضا: لقد جئت إلى هذا المكان بالمظهر الملائم: "قميص هاواى" والبنطلون الكتان الأبيض والحذاء الصيفى الأبيض.

الخلاصة.. إذا كانت الحياة قد تغيرت هكذا، فسأبدأ حياتى الجديدة الآن وفورا، وسأسعى لأن أجعلها سعيدة. أستطيع الآن أن أغير شخصيتى، عندما أحصل على شقة جديدة سأزرع الجرجير فى حديقتها، وسأعلق الصور على جدرانها، وأملأ هواءها بالبخور والموسيقى.

كل تلك الأفكار تجمعت وتصارعت وتآلفت وهدأت وراقت فى ذهنى فى ثوان، بعدها رفعت قدمى اليمنى –كفأل حسن– لأخطو أولى خطواتى فى العالم الجديد. تجولتُ على الشاطئ، تمددتُ على الرمال بجوار مجموعة من الشباب، كانوا يتناولون الساندويتشات، وشعرت بجوع فجائى. أحدهم نظر إلى فجأة، ومد يده بساندويتش، وبعد دقيقة انتقلتُ لأمدد بجوارهم، وأصبحنا أصدقاء.



fb/mashro3pdf

على أنغام الأنخاب وطقطقة زجاجات البيرة حاولتُ أن أجمع بعض المعلومات عن هذا العالم الجديد، دون أن أبدو غريبا فينفروا مني. لن يصدق أحد فيهم قصتي، لذا فمن الأفضل أن أفهم قوانين هذا العالم الجديد واحدة واحدة. دون أن أثير ريبتهم بقصص خرافية عن عالم آخر. لقد عانيت مر المعاناة في عالمي السابق كوني لا أشعر بالانتماء. ولقد قررت – بين ما قررت– أنني سأنتمي إلى العالم الجديد أيا كان.

كانوا ثلاثة شبان وفتاتين، أسماؤهم مصرية خالصة، ولسانهم مصري قويم، فلم أشعر بالغربة. وجلسنا نتبادل النكات والألعاب ونراقب بقية خلق الله على الشاطئ ونتنم عليهم. إلى أن سمعنا قرقعات وفرقعات فتوترت الأجواء، وبدءوا الاستعداد للرحيل، فقمت معهم.

أسرَ لي شاب منهم "هل لديك مكان"؟ أجبتُ بالنفي، فهز رأسه وكأن ذلك أمرا اعتياديا ومفهوما وقال "ستأتي معي". ارتدوا ملابسهم بينما كنت ما أزال في "قميص هاواي" والبنطلون والحذاء. وغادرنا إلى شوارع المدينة.

بمجرد أن غادرنا الشاطئ التفتُ ورائي فلم أجده. لا أتكلم عن صديقي، بل أتكلم عن الشاطئ نفسه. لقد اختفى، وأصبحنا في شوارع أسفلتية محاطة ببناءات حديثة وعتيقة. وقف السؤال في حلقي: أين ذهب الشاطئ؟ فكرت أن أسأل صديقي الجديد محطما قاعدة عدم السؤال. ولكنه بادرني بأن سحبني من ذراعي وانطلقنا نركض. وقد كان ذلك فعلا سديدا أشكره عليه، فقد سقطت قذيفة في الموقع الذي كنا فيه قبل ثوان، وانتشر الدخان في كل مكان مصحوبا ببعض الذعر.



fb/mashro3pdf

قال ل.ى "الميليشيات تسيطر على الطرق الرئيسية. سنتحرك فى الأزقة"، لم أستطع أن أوقف السؤال فى حلقى "أى ميليشيات". توقف عن الهرولة ونظر لى فى استغراب وكأنه ينظر إلى عدو، تجمدت عيناه بنظرة صارمة ومخيفة، فابتسمتُ ابتسامة هروب عريضة، قال: "لا وقت للمزاح" وسحبنى وظللنا نجرى حتى وصلنا إلى بيته.

قبل أن ندخل البيت كانت الشمس ساطعة، وفور أن دخلنا وجدت الظلام يطل علينا من النوافذ. دخل صديقى غرفته وهو يقول "الوقت تأخر.. تستطيع النوم على هذه الكنبة". لم أعرف كيف مر الوقت بهذه السرعة، لكننى شعرت بالفعل وكأنى ظللت مستيقظا ليوم كامل. وكان الحل الطبيعى أن أنام، فخلعت قميصى وبنطالى وحذائى وتمددت قائلا "الصباح رباح".

فى الصباح كان كريما معى، أعد لى إفطارا وقهوة لم أشرب ألذ منها فى حياتى. دخلت الحمام، وارتديت ملابسى الوحيدة، وخرجت لأجد يده ممدودة لى بـ"كلاشينكوف"، بينما يعلق آخر على كتفه. لم أكن أرغب فى السؤال لذا لم أنطق به، لكن يبدو أن عينى فضحتنى، إذ عادت إلى عينيه تلك النظرة وهو يقول: "أنت معنا.. أليس كذلك"، ابتسامة هروب أخرى وأنا أمد يدى باتجاه "الكلاشين"، وقال: "اخرج وانتظرنى أمام البناية".

خرجت من البناية وأنا أعلق "الكلاشين" على "قميص هاواى"، بديا لى غير متناسقين. وتمنيت للحظة أن أعود إلى بالى. لكننى سحبت تلك الأمنية، فمن الحماقة أن تحلم بأمنيات لن تتحقق.

fb/mashro3pdf

بمجرد خروجى أعمت الشمس عينى مجددا، وواتانى خاطر مخيف فالتفت خلفى، لم أجد البناية، بل وجدت شارعا طوليا طويلا طويلا يعج بناطحات سحاب، كما وجدت امرأة تنظر لى فى ذعر، وأدركت الموقف فى لحظة. لقد اختفى العالم الثانى وحل العالم الثالث. خلعت "الكلاشين" من على كتفى ودسته تحت سيارة، وتحركت سريعا وأنا ألوح ببلاهة للمرأة المرعوبة.

الآن بدأت أدرك أننى فى كابوس بلا مخرج.

فى الشوارع الضاجة بالنشاط كان يبدو أن كل إنسان فى حاله، وقررت أن أستعين بالتفاؤل مجددا، قلت: "هناك منطق فيما يحدث، بالتأكيد هناك منطق، سأحتاج بعض الوقت كى أفهم المنطق، وبعدها سأستطيع التكيف، أيا كان العالم الذى أعيش فيه، أيا كانت العوالم التى أنتقل بينها. وكما يعيش الآخرون فى كل عالم سأعيش، انظر إلى الجانب المشرق من الحياة، هناك جديد كل يوم، ألم يكن ذلك ما تحلم به".

ولكننى كنت محبطا، وكان إحباطى باديا، حتى أن شرطيا استوقفنى: "هل تبحث عن عمل"؟ دسست يدى فى جيبى فاكتشفت أننى لا أحمل الكثير من النقود. قلت: "نعم"، فاصطحبنى إلى بناية من ألف طابق، تسلمنى رجل، وسلمنى لامرأة، ووجدت نفسى جالسا أمام جهاز كمبيوتر. كانت المهمة أن أطبع ملفات من على الجهاز، أضعها أمامى، ثم أنسخها ثانية، وهكذا لثمان ساعات، وفى نهاية اليوم كان ذهنى فارغا من كل شيء، وكانت معى نقود، وكنت أحلم بمنام.

فندق صغير على بابه كلب ينبح، حجرة ضيقة وفقيرة، وسرير نظيف ووجبة عشاء.



fb/mashro3pdf

ما بين اليقظة والنوم تذكرت ما لم أرغب فى تذكره. تذكرت حكاية صديقى الخرافية عن "قميص هاواى" وكيف أتى به. الحكاية طويلة وعريضة ومليئة بالتفاصيل غير المترابطة ولكن لنختصرها كالتالى: كان صديقى فى إحدى الجزر، وكان يبحث عن ماريوانا، استوقف رجلا من أهل الجزيرة وسأله، اصطحبه الرجل إلى الضواحى، وإذا كنت ممن يبحثون عن التفاصيل فسيحدثك صديقى عن رائحة الأطعمة الحريفة، عن وسخ الأزقة، عن النساء السمينات الجالسات أمام البيوت، عن المراهقين فى غرف ضيقة يستنشقون الكوكايين أو الهيروين أو مساحيق من مواد شبيهة، عن كلاب تنبح، وفئران تنطلق بين الأقدام.

لم يكتف صديقى بالماريوانا، بل تجاوزها لمخدرات أكثر راديكالية، بجواره كان كهل يدخن بغليون طويل، يرتدى "قميص هاواى" وشورت. دارت أطراف الحديث وتشابكت وتكلكعت، سأله صديقى عن اسمه وعمله وجنسيته. فقال إنه من عالم آخر، وأنه سيغادر هذا العالم بعد قليل. اعتبره صديقى "مسطولا" وهزأ منه، لكن صاحب "قميص هاواى" ابتسم له فى شفقة. أثنى صديقى على "قميص هاواى"، فخلعه الرجل وبقى عارى الصدر. قال له: "تعرف.. أنت ابن حلال.. خذ القميص، وأنا سأظل هنا للأبد". أصر صديقى على أن يدفع عشرة دولارات، فوافق الرجل، ولكنه حذره: "لن تهرب من هذا القميص إلا بهذا القميص". اعتبر صديقى تلك العبارة سطرا شعريا لأحد شعراء "هاواى" المغمورين ولف "قميص هاواى" تحت إبطه، وغادر المكان ومعه هدية فكر أنها ستكون مناسبة لى.

والآن، أنا متعب، أستطيع أن أكمل تلك الحكاية حتى أموت، إنها لن تنتهى إلا بحياتى، وهاك بضعة أمثلة كى تصدقونى: لقد زرت عالما



fb/mashro3pdf

تسود فيه الكلاب، وآخر يتبادلون فيه الأرواح والأفئدة، لقد عشت فى أرياف سكانها طيبون ولا مشكلة فيها إلا العفاريت التى تظهر ليلا لتأكل ذراعا من هذا الرجل أو رجلا من تلك المرأة، وعشت فى جبل يمتد إلى مالا نهاية يسكن فيه كل شخص منعزلا فى صندوق بحجم جسده. لقد عشت حتى تحت الماء فى قباب زجاجية، وفى صحراوات لا هم للشبان فيها إلا ممارسة الجنس مع كل كائن جوال وابتكار أنواع جديدة من المخدرات تستطيع أن تجعلهم يفيقون من الأنواع القديمة. لقد كانت حياتى متعبة، لم يكن ثمة عالم واحد يغرينى على العيش فيه، حتى أننى فكرت مرارا فى الانتحار، لكن "قميص هاواى" كان يظل أملا منتصبا أمام عينى، يمنعنى حتى من إنهاء حياتى. كنت أقول: "فلأجرب عالما آخر إذا كان هذا العالم بتلك البشاعة".. وبرغم إدراكى أننى أدور فى دائرة مغلقة من العوالم التى لا تعاش فإنى لم أستطع أن أنهى حياتى. إذ كيف تتجاهل أملا منتصبا أمام عينيك. لم أستطع كذلك أن أحرق "قميص هاواى"، وسيلة هروبى من كل عالم إلى كل عالم. إذ كيف تحرق أملا منتصبا أمام عينيك.

عندما أنام الآن أحلم بأمر واحد، أن تنتهى هذه الرحلة، أن أعود إلى شقتى التى تركتها دون وداع، أزين جدرانها بالصور وهواءها بالبخور والموسيقى، وأزرع الجرجير فى حديقتها. أفكر فى صديقى الذى أهدانى "قميص هاواى"، ربما غادر المستشفى الآن، ربما عاد إلى عائلته ووظيفته السقيمة الجميلة، ربما تسنى لى أن ألكمه فى وجهه غيظا من هديته، ثم أحتضنه من الشوق، ونحتفل سويا ليلتها ونحن نستمع إلى موسيقى الريجى وندخن الحشيش ونشاهد دخانا خارجا من "صفيحة" فى الشرفة حيث يحترق "قميص هاواى".



fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# الكاتبة

fb/mashro3pdf

بينما كنا "نحشش" وأختلس النظر إلى ساقيها المكشوفتين المتكئتين على الطاولة، قالت فجأة: "أحيانا تنتابنى الرغبة فى أن أنام معه".

كانت تتحدث عن شقيقها.

رجاء كاتبة، هى كاتبة متميزة فى الواقع، لها رواية قصيرة لاقت نجاحا لا بأس به، ومجموعة من القصص الظريفة. هى مصرية الأب والأم، وإن لم تولد فى مصر. جاءت إلى "الوطن" عندما كانت فى السادسة من عمرها مع والدتها، بينما ظل شقيقها يعيش فى انجلترا مع والدها يتابعان "بيزنس" العائلة العملاق، وانقطعت العلاقة بين الذكرين والأنثتين لسنوات لم تتخللها سوى زيارات قصيرة.

مشكلة رجاء تكمن فى ثرائها الفاحش، لم أصدق أنه يمكن لإنسان تزيد ثروته عن المليار دولار أن يكتب. ولكنها كانت تكتب، هنا بالذات، فى فيلتها التى يمكن أن ندعوها قصرا. كنت أشعر باستفزاز شديد وأنا أدخل القصر فأجدها بالملابس البيتية أمام حمام السباحة، تشرب عصير الفواكه الطازجة وتكتب على اللاب توب الذى كانت بطاريته تتحمل ساعات من العمل دون إعادة شحن. ما كان يشعرنى بالاستفزاز أكثر أن ما تكتبه كان جميلا.

fb/mashro3pdf

تواعدنا أنا وهى، جربنا النوم فى فراش واحد عدة مرات، لكن العلاقة تحولت مع الوقت إلى صداقة. أو أننا اخترنا أن نسميها "صداقة" باعتبار أن هذه الكلمة الفضفاضة يمكن أن تستوعب كل ما يمكن تصوره من علاقات. لم يكن لدينا مانع من أن ننام سويا من وقت لآخر. والحقيقة أننى عندما لبيت دعوتها فى ذلك اليوم كنت أفكر فى الجنس. وكنت أتابع فضفضتها عن أخيها وأنا أدخن سيجارة الحشيش بنصف وعى وأنظر إلى ساقيها حين نطقت بتلك العبارة:

-"أحيانا تنتابنى الرغبة فى أن أنام معه".

كنت أعرفها جيدا، وأعرف ماذا تعنى كلماتها، وكانت تعنى ببساطة أنها "تتحرق شوقا" للنوم معه. هى بهذا الدهاء، تفصح عن مشاعرها على استحياء، فإن وجدت فيمن أمامها مُنصتا واصلت، وإن رأت الدهشة فى وجهه ضحكت وقالت إنها تمزح. لم أدعها للمزاح، هززتُ رأسى بتفهّم فاجأها فانطلقت فى حوار نصف مسطول:

-"السنة الماضية كنت فى حالة تعرفها جيدا. تتذكر عندما حاولت الانتحار؟ كنت فاقدة الثقة فى كل شىء، أنا وأمى كنا نتعارك يوميا، كانت تضربنى وأضربها. أمر فظيع أن تعيش امرأتان تحت سقف واحد. والأصعب من ذلك أننى كنت نسخة منها، نسخة أسوأ فى الواقع، كنت كلما أنظر إليها أعرف كم أنا بائسة، وهى أيضا عندما تنظر إلىّ تعرف كم هى بائسة. كنت مرآتها وكانت مرآتى. وفى لحظات الصفا كانت تسألنى "مرآتى يا مرآتى.. من هى أقبح امرأة فى الدنيا".. فأقول لها: "أنتِ يا عزيزتى". لم نعد نحتمل بعضنا البعض، وسافرت هى إلى لبنان كى تعيش مع أختى كما قالت، ولكنى أعرف أن لها عشيقا أو أكثر هناك. أما أنا



fb/mashro3pdf

فظللت وحيدة هنا وسط عالم كل ما فيه يذكرنى بفشلى. أنت لم تعرفنى جيدا فى تلك الفترة، كنت بعيدا عنى، وحتى لو كنت قريبا لما استطعت أن تساعدنى، كان الأمر الوحيد الذى سيساعدنى هو الانتحار، لذا أقدمت على محاولة فاشلة أخرى، انتهت فى المستشفى. أعتقد أنها لم تكن محاولة جدية بالقدر الكافى. كان غضبا أكثر منه رغبة حقيقية فى الموت.

"فى ذلك الوقت زارنى أخى، أنت تعرف أنه يكبرنى بخمس سنوات، لم أكن قد رأيته منذ سنين، وعندما دخل إلى غرفتى فى المستشفى مذعورا كاد جماله يجعلنى أغيب عن الوعى. أقول لك. تسارعت دقات قلبى المجهد وهو يقبلنى فى خدى وفى عينى وفى رأسى. ووددت ساعتها لو أضع يدى بين ساقيه على الفور.

واصلت رجاء حكايتها، ما شجعها أننى كنت منصتا وأهز رأسى، لكنى لم أستطع أن أتابع القصة، وكأن أحدهم شد لجام عقلى محولا إياه إلى قصة أخرى وقعت قبل نحو شهرين. قصة عوض.

عوض كان شابا التقيته أثناء سعيى نحو تحقيق صحفى لم يكتمل بسبب كسلى المعهود وقرفى المزمن من مهنتى، تحقيق عن "السوابق" وما يلاقونه من سوء المعاملة على أيدى الضباط. بدأت التحقيق متحمسا لمناصرة هؤلاء "السوابق" المساكين، وانتهيت إلى نتيجة أن أفضل ما يفعله المرء هو أن يترك الأمور على حالها.

المهم أن التحقيق ساقنى إلى منزل عوض فى عابدين، كان عوض صديقا لأحد أصدقائى الذين دخلوا السجن لأسباب "سياسية"، وكانت ثمة مناسبة سعيدة فى منزله ذلك اليوم، ربما كانت زواج ابنة خاله، أو ظهور أخيه الأصغر، أو خروج أحد أولاد عمومته من السجن. لا أتذكر



fb/mashro3pdf

تحديدا، ما أذكره أن الجلسة كانت منصوبة فى تلك الشقة الصغيرة، حيث نور "النيون" الأبيض يجاهد كى يخترق سحابة "الحشيش" الكثيفة التى تغمر الغرفة المطلية بالأخضر الغامق. مجموعة من الرجال الخشنين جالسين على المقاعد والأرض. دخلتُ بصحبة صديقى فأفسحوا لنا أفضل مكان، وبعد أقل من عشرين ثانية كانت فى يدى سيجارة حشيش، وكوب شاى محلًى بـ"برشامة تريمال". وبعد عشرين ثانية أخرى كان "عوض" بجوارى، وحاولت أن أفتح معه موضوع التحقيق.

صديقى كان قد حكى له عما أفعله تحديدا، وقد رحب عوض بشرط ألا أكتب اسمه الحقيقى، مطلقا الكثير من السباب البذىء بحق رجال الشرطة. لكن عندما جلس جوارى بدأ يتكلم فى موضوع آخر، أمسك هو دفة الحديث وأدارها حسب مزاجه، وبين انتباه الصحفى وسطلة الحشيش والـ"تريمال" كنت أتتبع كلماته ولا أعرف أيها حقيقى وأيها متخيل. وقد عدت إلى منزلى ذلك اليوم وأنا متأكد من أمرين. أولهما أننى كنت فى غاية الانسطال، والثانى أننى لا أريد أن أكمل هذا التحقيق.

قال لى عوض —دون سبب واضح يدعوه لهذا الاعتراف— إن أمه أقامت علاقة مع شقيقها انتهت بالحمل، ولتدارى الفضيحة سافرت هى وشقيقتها إلى "البلد"، وعادتا بعد عدة شهور مع الطفل، ونسبت الطفل للشقيقة التى كان زوجها قد سافر إلى الخليج. وقال لى عوض إن أمه الرسمية —فى واقع الأمر وحقيقته وأمام الله— هى خالته، وعليه فإن والده أمام الناس ليس إلا زوج خالته، وبالتالى فإن خالته هى أمه، وطبعا خاله هو والده. واستكمالا لشجرة العائلة قال لى عوض إن أخته هى ابنة خالته، وقد تزوجت أمه الحقيقية بعد ذلك وأنجبت فصارت له أخت غير

fb/mashro3pdf

شقيقة يدعوها "بنت خالتى"، وأخ غير شقيق يدعوه "ابن خالتى". أما ابن خالته الآخر فقد كان أخاه الشقيق حيث أخطأت الأم مع أخيها فى نزوة ثانية!

وفى سياق الحديث الذى لم يتطرق لحظة لما يلقاه من سوء معاملة على أيدى رجال الشرطة قال لى عوض إنه يفضل النوم مع أخته الحقيقية عن النوم مع أخته الوهمية التى تبين أنها ابنة خالته، وقال -بطريقته- إن الأمور نسبية، وأنه ليس غاضبا من أمه لأنها أخطأت وحاولت إصلاح الخطأ بأفضل الطرق، وقد فعلت، وقال إنه لو كان بيده لاختار خالته أما له، واختار زوج خالته أبا له، فهو لا يحب أن يكون ابن خال نفسه!

وقد أنهى عوض الحوار وهو يمرر لى سيجارة أخرى قائلا "أنا أحب جدتى جدا، فهى الوحيدة فى عائلتى التى كانت جدتى فى الواقع وفى الأوراق الرسمية على حد سواء. رحمها الله"

على أى حال..

توقفت رجاء عن الكلام، ولم أعرف بم أعلق. قلت لها أن تحترس فقالت إنها تحاول. قلت لها إن تلك المسألة قد توقعها فى مشكلات، فقالت إنها تعلم. كدت أحكى لها قصة "عوض" الغريبة، ولكننى آثرت الصمت. دخنا سيجارتى حشيش، وانقطع الكلام بيننا، سرحتُ أنا فى خيالات شتى، كنت أريد أن أترك الجريدة، وكان الجو على حمام السباحة رائع، ونسيم صيفى خفيف يطوح رائحة الياسمين من الفيلا المجاورة باتجاهنا. تمنيت أنى أترك عملى وأهاجر إلى جزيرة بعيدة كى أكتب كل تلك المسودات التى أعددتها فى الخمس سنوات الأخيرة، كمبيوتر على حجرى وأنا جالس أمام البحر أحتسى كوكتيلا مسكرا بطعم



fb/mashro3pdf

الفواكه الاستوائية. كانت هى أيضا تفكر فى شيء لا أعرفه. ومرت فترة لم يكن حسابها ممكنا، ثم كان على أن أخطو تجاهها خطوة أو أرحل، ففضلتُ الرحيل، ولم تلح علىَ فى البقاء.

توجهتُ إلى الجريدة حيث كان علىَ أن أسلّم العمود الأسبوعى. لم يكن فى ذهنى أى شيء يستحق الكتابة، فتناولت أول جريدة أمامى. كان الخبر الرئيسى عن لبنان، وبكل ما أملكه من صفاقة وعدم وعى بدأتُ فى كتابة تحليلاتى العميقة للواقع السياسى الحالى فى الداخل اللبنانى.

بعد بضعة شهور -وقد نسيت ما دار بينى وبين رجاء من حوار- اتصلَت بى، قالت إنها تريدنى أن أمرّ عليها "ضرورى ضرورى". أنا لا أحب هذه الكلمة، ولو كنت فى مزاج مختلف لقلت لها أن تلقى بنفسها من الشرفة. لكنى لم أكن مشغولا، وكنت أيامها أفكر فى أن أترك مهنة الصحافة بأكملها وأبحث عن أى رزق فى مكان آخر، فلا شيء يمكن أن يكون أكثر قرفا.

استقبلتنى بقبلة علىِ شفتى وحضن طويل. أثناء العناق قفز شيء على قدمى فانتفضتُ. ضحكت ضحكة خليعة وانحنت لتمسك بالشيء وتحتضنه.

-ما هذا؟

-إنه "توتى".. ثعلب صغير أتيت به من رحلتى الأخيرة إلى نيويورك. لقد كلفنى كثيرا ولكنه يستحق، ولكى أدخل به إلى مصر نمت مع الموظف المسئول. طبعا كان يمكن أن أدفع له رشوة ضخمة، ولكنه كان وسيما، ففضلت أن تكون الرشوة "معنوية".. المشكلة أنه ظل يحاول

fb/mashro3pdf

الاتصال بى بعد ذلك ولا أعرف كيف أتخلص منه. اليوم فقط جاءتنى منه ست رسائل. انظر كم هو "لذيذ".

وقبَّلت "توتى" فى فمه.

-لذيذ فعلا، ولكن ابعديه عنى.

أدخلَته فى إحدى الغرف التى لا تُعد، وعادت وهى تقول:

-أردتك أن تكون موجودا اليوم. أريد أن أعرِّفك على أخى. أنا مرتبكة جدا، أشعر أننى سأقفز عليه ونحن نتكلم وأملأ وجهه بالقبلات.. أريدك فقط أن تكون موجودا. سيأتى الآن فى أى لحظة.

كان موقفا سخيفا بحق، أن نجلس نحن الثلاثة، أنا ورجاء كشقيقين، وشقيق رجاء كعشيق يتقدم لخطبتها منى! رغبت فى أن أعتذر وأرحل على الفور، ولكنها فى النهاية كانت لحظة لا تُعوَّض فى عبثيتها، لذا قررت أن أنتظر.

-ماذا تريدين بالضبط؟

-لا أعرف، أريد أن أكتشف شيئا ما فى نفسى ربما...

توجهتُ إلى الثلاجة وتناولتُ زجاجة بيرة مثلجة، فتحتهُا وارتشفتُ رشفة "لذيذة". قفزَت بجوارى على الكنبة فاندلقت قطرات من كأس الويسكى الذى تمسكه بيدها، وقالت فى حماس:

-نعم. الأمر كذلك على الأرجح. أريد أن أكتشف شيئا ما فى نفسى، لا أعرف ماذا هو، لكن عزيزى.. الاكتشاف هو ما يبقينى على قيد الحياة. ليس الكتابة. أنت تقول إنك تحب كتابتى، لكنى لا أحبها. أشعر أننى لست إنسانة مكتملة الإنسانية.. وبالتالى لست كاتبة مكتملة "الكتابية".. هناك شىء مفقود أبحث عنه.. هل تفهمنى؟



fb/mashro3pdf

-وهذا الشيء ستجدينه بين ساقى شقيقك؟

-لا تكن غبيا هكذا. افهمنى. أنا أشعر بحب جارف نحوه، لقد ظل بجانبى وقت أن تجاهلنى العالم بأكمله. لقد غمرنى بالحب، وفى هذه الأثناء وجدته مثيرا إلى درجة لا تحتمل. أنا أريد أن أكتشف هذه العلاقة. لا أريد أن أكبت مشاعرى، ستقول إننى أفسد حياتى، لكنك تعرف أن حياتى قد تنتهى قريبا بأى حال.

-وماذا عنه هو؟ هل يبادلك نفس الشعور المريض؟

-لا أعرف.. أتمنى ذلك.. لكنه من النوع المُحافظ. تعرف.. لو كان يبادلنى نفس الشعور ستكون كارثة حقيقية!

رن جرس الباب.. ودخل الأخ.. عانقها بحب بدا لى "أخويا" ، ثم تعارفنا.

تبادلنا عبارات تقليدية فى محاولة لفتح حوار، وكنت أثناءها أبحث فيه عن تلك "الإثارة الخارقة" التى جننّت رجاء. بالنسبة لى كان هادئا جدا، بل كسولا. كان يعرف جيدا ما يقوله. لا يرتجل، وإنما يرد ردودا سابقة التجهيز. كان يفتقد كل ما يثير الدهشة أو الإعجاب. وقلت فى نفسى إن النساء "لهن نظرتهن".

لم يكن يشرب أو يدخن ولم يفك ربطة عنقه وبدا لى فى غاية الملل. وعندما كنت أختلس النظر إلى عينى رجاء كنت أجدها تنظر إلى وجهه مباشرة. لم تكن نظرة هيام، وإنما نظرة أشبه بالذهول.

لما كنا قد تعرفنا للتو فلم يكن هناك مفر من الحديث فى الأمور العامة، وكانت الأزمة فى لبنان ساخنة، أدليت بدلوى فى الصراع الطائفى اللبنانى، وأدلى هو بدلوه فى الوضع الاقتصادى -كان شريكا فى شركة



fb/mashro3pdf

اتصالات لبنانية- وبدأت الأجواء تصبح ثقيلة وسقيمة. لدرجة أننى حمدت الله عندما انقطع التيار الكهربى.

أتت رجاء بشمعة. وبدا أن الحديث قد انقطع بانقطاع التيار. جلست رجاء بجوارى، وبدا أنها سكرانة قليلا. واصلنا أنا والأخ حوارنا الكسول بينما زادت رجاء من التصاقها بى حتى صار رأسها بأكمله محشورا فى عنقى. لم يبد على الأخ أى تعبير. فى الغالب تصور أننى "بوى فريند" رجاء وأنها تريد تقديمى إليه، وليس العكس.

نظر الأخ فى ساعته، وقال إنه سيرحل.

-ألن تنام هنا؟

-حقيبتى فى الفندق، أرتاح أكثر فى الفنادق، سأمر عليك غدا.

صافحنى باحترام وقبّلها بحب أخوى، وغادر. قلت لرجاء:

-ماذا إذن؟

-ماذا؟

-ما هذا الملل.. لم أتصور أن يسير اللقاء على هذا النحو.

-لماذا؟

قلتُ فيما يشبه الانفعال:

-كنت أتصور أنك مغرمة به، بل إنى قد تخيلتك تقفزين عليه فجأة، أو تتركانى وتصعدان إلى غرفة النوم وأظل أنا أستمع طوال الليل لتأوهاتكما.

شردَت قليلا.. ثم تمددت ووضعت رأسها فى حجرى.

-لا أعرف. هناك شىء تغير، شىء فيه أو فىَ أنا، لم أعد أرى فيه سوى شقيق حنون، وفى النهاية من الخطأ أن تنام المرأة مع شقيقها.



fb/mashro3pdf

ثم انتفضَت واقفة وهى تصرخ: "تـوتى".. وأسـرَعت باتجـاه الغرفـة عائدة بذلك المخلوق فى حضنها وهى تقبله.

-يا "توتى" يا مسكين.. ماما تركتك وحيدا.. ماما سيئة.. عُضّ ماما.

قرَّبَت وجهه من رقبتها وأجبرته على أن يعضها.

-نعم.. هكذا.. عُضّ ماما ثانية.. ماما تستاهل العض!

ثم التفتَت إلىّ والسعادة بادية فى عينيها:

-هل تريد أن تبيت هنا الليلة؟

-لا.. نامى مع "توتى".

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# القاهرة

إلى سعيد بركنان

fb/mashro3pdf

جاءت لتستريح من الرقص فجلست بجوارى، وكنت أرفع رأسى لأشرب ما تبقى من زجاجتى الخضراء، فلفحتنى رائحة أخرجتنى من السكر لحظة ثم دفعتنى إليه ثانية فى قوة كاسحة، قلت لها: "شكرا"، وكفى.

كانت رائحتها رائحة حبيبتى حين تعود من العمل نهارا، والتى تصبح رائحتى أنا أيضا حين أغسل نفسى بعرقها. حبيبتى القاهرية التى تعلم الأطفال الطاعة نهارا، وتعلمنى التمرد بالليل.

كان طلال يرقص فى نشوة السكر وأنغام بوب مارلى رقصة بسيطة وهو محنى الجسد، وكان مميزا بلونه الأسود الداكن وسط الراقصين. أما حيدر فقد اندمج مع الموسيقى فى حركات عنيفة يبخ بها الدم من دواخله حزنا وغضبا ورغبة فى الحياة. منذ دقائق كان حيدر جالسا على الأرض يبكى بعد أن رأى طفلا عسلى العينين يمشى بصعوبة خلف أمه.

سعيد كان واقفا عاقدا ذراعيه وعلى وجهه فرحة خفيفة ورزينة. كان يحوط جسده بمعطف كلاسيكى والعرق يخر من أجساد الجميع. ثبت نظره على حيدر الذى كان فى تلك اللحظة يرقص بزجاجة البيرة ويتحرش بالبنات، وحين يبتعدن عنه فى قلق كان يشتمهن بالسورية شتائم غير عفيفة بالمرة، ثم يحول شتائمه على القاهرة ويصفها بالقحبة.



fb/mashro3pdf

اتجهنا أنا وطلال وسعيد ناحيته وهو يميل نحو صدر البنت التى أمامه حتى كاد يلمس نهديها برأسه. سحبناه خارج حلقة الرقص وهو يضحك،ثم أومأت برأسى معتذرا نحو البنت التى تفهمت سكره، ومضينا نحو الباب، وهو يقول:

-شو بتفكر حالها؟ ..إختها.. أنا بحب النهود.. شو خصها هى؟

لم نكن أقل سكرا منه، ولكن سكره دخل من ثقب الروح فبللها، لذا صار جسده ثقيلا ونحن ننزل على السلم الواطئ متخذين طريقنا إلى شوارع القاهرة الليلية. وهكذا ونحن ننزل على السلم سقط حيدر وانزلق درجات ستة قبل أن يستوى على الأرض ورأسه ملطخ بالدماء، وقف ثلاثتنا كالأصنام، وكان الناس يخرجون فيمرون بجوارنا، منهم من يعرض المساعدة ومنهم من يضحك ومنهم من يتأفف، ولكننا لم نشعر بمن حولنا بأى حال من الأحوال، كنا ثلاثتنا مشغولين بسؤال واحد ونحن نتحلق حوله فى نصف دائرة: كيف سقط منا حيدر سهوا؟ كاد الأمر أن يفسد الليلة بأكملها ويمكن منا كآبة نحن فى أتم الاستعداد لاستقبالها، لولا أن وقف حيدر من سقطته وسكره بصعوبة والدماء تلوث خده وقال بمصرية أضحكتنا جميعا:

- أنا جدع.

اقترح سعيد أن نتجه إلى مقهى ومطعم "سعد الحرامى" القريب منا، ولم يرد عليه أحد لأننا كنا نتجه بالفعل إلى هذا المكان دون أن نفكر. فى الواقع لم يكن هناك مكان آخر يؤوى أربعة من السكارى الجوعانين فى الثانية بعد منتصف الليل. سعيد كان أكثر من أعجبه اسم صاحب المكان "سعد الحرامى"، وهو الذى لفت انتباهنا إلى طرافة الاسم، وأن



fb/mashro3pdf

"الحرامى" هذه لا بد أن تكون صفة اكتسبها الرجل، وأثار ذلك دهشتنا، إذ كيف لم نفكر فى ذلك من قبل؟

طلبنا طعاما وثلاثة أكواب من الشاى، وعندما أراد الجرسون أن يعرف طلب حيدر لم يرد عليه وتجاهله تماما، وعندما ألح قال له بثورة حقيقة:

-شو بطلب يعنى؟ قهوة مثلهن.

-من غير وش.

-ومن غير سكر.

-ومن غير مويه.

ضحكنا عاليا، وكبسنا جرح حيدر بالبن بعد أن لوثنا قمصاننا جميعا بدمائه كتعبير عن التضامن العربى. كان حيدر قد لاحظ أن سعيد لوث قميصه بحرص. فمسح على رأسه بكلتا يديه ثم مسحهما فى قميص سعيد وهو يقول:

-ليك يا مغربى انت! ما فيك تتضامن مع أخوك السورى؟

ضحكنا ثم بدأنا الكلام عن المدن. قال حيدر بعد أن سب الأديان المختلفة للقاهرة:

-تعرف خيو؟ القاهره هذه أسوأ مدن العالم، دمشق أهم بكثير، وبيروت.

-مصر أم الدنيا.

-..إم الدنيا على ..إخت الدنيا. والله حذاء السورى بيفهم عن كل مثقفين القاهرة.



fb/mashro3pdf

ثم بدأ يشتم القاهرة بشتائم سورية لا يمكن أن يغفرها الله. لمحت أنف سعيد وهو يستدير ناحيتنا بعد أن كان يشم به جدارا قديما، ليقرأ علينا قصيدته التى كتبها أمس:

فى القاهرة رأيت عدسا بلون البرتقال

وباذنجالا بلون الحليب.•

تكلمنا عن الإسكندرية ودمشق والخرطوم وبيروت وتونس العاصمة، وتكلمنا فى الصحافة والثقافة وحزب البعث والبوليساريو وجون جارنج والبحر والحشيش، وقلنا أشعارا لم نتبين أصحابها خالطين بين قصائد تراثية وحداثية، وأسمعنا حيدر شعرَه، فأشار سعيد فى خجل إلى أن بعض تلك الأسطر من قصيدته هو، بينما أصر طلال على أن المتنبى هو القائل بهذا المعنى، أما أنا فكنت واثق أنى قرأتها فى قصيدة لمحمود درويش، تشاجرنا قليلا ثم تصالحنا، وواصلنا إتلاف ديوان العرب، وفى محاولة لتذكر أحد الأبيات خبط حيدر جبهته بيده فارتد رأسه للوراء وصدم الجدار فسال الدم من جديد. واقترح طلال أن هذا الحمار لا يستحق أن يعيش، وأن الله جازاه خير جزاء بخلقه عربيا، ثم خلع حذاءه وتبعناه جميعا، وأخذنا نضربه به ونحن نكيل له السباب كل بلهجته.

وددت مشاكسة سعيد، فقلت:

-إلا صحيح فين كازابلانكا دى يا طلال؟

-جنب سوريلانكا.

بدا الضيق على وجه سعيد، وبدأ طلال يقص لنا مغامرات أحد أصدقائه فى السودان كان يشرب العرق بكميات فلكيه ثم يوزع حاجياته

---

• من قصيدة لسعيد بركنان.



fb/mashro3pdf

على كل من حوله أصدقاء كانوا أم أعداء، حتى أنه استيقظ مرة فلم يجد عليه سوى سرواله الداخلي. فأقسم ألا يشرب العرق ثانية، ثم استعد للخروج فأعد مشروبه المفضل الذى يتعامل به مع النهار، والمكون من الزبادى والكوكاكولا والسكر والليمون ونصف كوب من العرق.

انتابتنا موجة أخرى من الضحك، قفز فيها حيدر من مقعده فارتطمت ساقه بالمائدة وسقط كوب من الشاى على الأرض متهشما فى صوت عنيف. واصلنا الضحك بينما نظر هو فى غضب لصاحب المكان ثم صرخ فيه متبحا بيده فى وجهه:

-.. إختك يا سعيد يا حرامى! من شو عم تعملوا كبياتكن؟ من قزاز؟

أخذنا الحديثُ عن الثقافة العربية، فاختلفنا لا ندرى على ماذا، وعلت أصواتنا، بينما كان حيدر صامتا ومغمض العينين حتى ظننا أنه نائم، ولكنه هب فجأة قائلا:

-.. إخت الثقافة العربية، آخر يوم كنت ببيروت شفت مظفر النواب، ساكن فى قبو تحت السلم، وما أكل من يومين.

اتفقنا أن نعوض مظفرا عن حالته السيئة فألقينا ما تيسر من قصائده كى نعطيه الخلود رغم إصرار حيدر أن ذلك لن يفيده بشىء وأن من الأفضل أن نمسح بهذا الخلود مؤخراتنا.

أغلق "سعد الحرامى" مقهاه فابتلعتنا الشوارع، وأخذنا نجذب هذا الطرف وذاك من الحديث الصاخب، حتى جاء سؤال عن أجمل نساء العالم. فقلت "حبيبتى"، وقال طلال "الحبشية"، وقال حيدر "الحلبية"، أصر طلال على أن يثبت رأيه فقال:

-حينما تسقط الحبشية فى الحليب البارد .. يُطق..طِق..طِق.. طِق.



fb/mashro3pdf

وقف وأحنى جسده وهو يقول طِق طِق طِق حتى ظننت أنه انتصر، لكن حيدر حسم النقاش قائلا:

-ليك.. شو بتعملك الحبشية؟ الحلبية أجمل نساء العالم لأن الحبشية سودا.

كان سعيد فى ذلك الوقت يتشمم الجدران، ويتفحص كل ما عليها من نقوش وشخبطات ورسوم وملصقات، ويتأمل الواجهات الزجاجية، والتماثيل فى الميادين، وعناوين المحلات. من يومين كان سعيد يمشى فى وسط البلد يسأل عن مكان "المشربية" حيث المنتدى الشعرى الذى التقينا فيه جميعا مصادفة. قابله حيدر فى الطريق فأرشده إلى المكان،رغم أن حيدر وصل إلى القاهرة منذ أسبوع واحد، أى بعد سعيد بشهور.

أخذنا نغنى ونخلط بين مارسيل خليفة ومصطفى سيد أحمد،وبين زياد رحبانى والشيخ إمام وأم كلثوم. نحطم كل قواعد الغناء بأصواتنا التى لا يقبل سماعها إلا الصم والسكارى. انفعل حيدر وخلع حذاءه وأخذ يصفق به عاليا وهو يتقافز، وتضامن معه طلال فخلع حذاءه هو الآخر ومشيا حافيين على أرض القاهرة الباردة وعلا صوتهما. فسألنى سعيد وهو يحكم إغلاق معطفه عن الأمن هنا.

-فى القاهرة محدش ح يعتقلنا، يمكن نقضى الليله فى التخشيبه وخلاص.

فهم سعيد معنى "التخشيبه"، فضحك من قلبه على هذا الاسم. تعالت أصوات تواشيح مَا قبل الفجر من أحد الجوامع، اقترح طلال:

- نصلى.



fb/mashro3pdf

- ..إختك.. ليك لو دخلنا الجامع هلأ بيعلقونا فوق المدنا لحين ما نفوق.

قلت لسعيد:

-ما عرفناش حاجه عن كزابلانكا.

قال: مدينة تسقط فيها الأمطار.

ثم مشى فى صمت بجوار جدار الجامع يتشمم رائحته، مشيت بجواره بينما سبقنا طلال وحيدر وهما يغنيان توت توت عا بيروت، مع مزيج من الأغنيات الأخرى، مر من أمامهما رجل يسحب طفله الصغير الذى يرتدى جلبابا أبيض وطاقية بيضاء نحو الجامع، الطفل يمشى خلف والده ويده ممسكة بيده، بينما رأسه استدار للخلف يرقبنا فى دهشة. قلت فى نفسى: "مش هيعيط.. مش هيعيط.. مش هيعيط"، ولكنه بكى، وجلس على الأرض، وجلسنا حوله.

-ابنى فى حلب.. إلى سنة ما بقدر أشوفه، وها العيد ما بعتّله قميص جديد.

ها قد حدث ما كنا نخشى منه جميعا، وأوشكت الفرحة الزائفة على الانتهاء، لكن طلال حاول محاولة أخيرة كى يمنع الحزن من أن يرتدى ثوب الكآبة، فربت على كتف حيدر وقال:

-أنا كمان ما بقدر أشوف ابنى.

مسح حيدر الماء السائل من عينيه وأنفه والتفت إلى طلال باهتمام:

-انت لك إبن؟

-لا.



fb/mashro3pdf

انفجرت الضحكات من جديد، وقمنا جميعا مستكملين طريقنا ولكن فى هدوء أكثر. تأبط سعيد ذراعى وأخذ يحاول إقناعى أن ثمة شىء خاطئ فى القاهرة، فالبرتقال لا يمكن أن يصير عدسا، ولا الحليب باذنجانا. كنت أستمع إليه بأذنى، أما عقلى فكان يستثير ذاكرة أنفى كى تطلق من جديد رائحة حبيبتى وهى عائدة من العمل نهارا. وأخذت أمنى نفسى أن ربما أقابلها غدا، ربما تضرب الجرس من غير ميعاد، وحينها سأغفر للملائكة هذا الحزن الليلى الذى أغرقونى فيه. الملائكة الذين كانوا يرقبوننا ونحن ندور وندور، أربعة أصدقاء خفيفو الروح فى قُمع القاهرة الليلى، فتختلط ألواننا وروائحنا قبل أن ننزل من الثقوب الضيقة لمصفاة القُمع عصيرا راااائقا.. تشربه الملائكة.. وتنام.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# البنت الفقيرة

# والشامبنزى الأمير العاشق

(حكاية أطفال)

قميص هلواى

مكتبة الأسرة ٢٠٠٣

fb/mashro3pdf

بيد واحدة كان يمسك بالخيط النازل من السماء.

أمه وأبوه ناما وهو صغير، وتقافز هو عبر أشجار الطفولة كشامبنزى. ارتدى نظارة بحجم وجهه وتشقلب مرارا حتى نبت الشعر فى شاربه، وبعد أن مل وحدة الصبا قرر أن يدخل الجامعة، وهناك فى قسم اللغة الإنجليزية بجوار قبة جامعة القاهرة بدأ يبتسم ويربط رباط حذائه ويتعطر حتى أنه أعجب أكثر من ست فتيات.

بخفة الشامبنزى كان يتشقلب بينهن، يمنح إحداهن قبلة ويخطف موزة من يد الأخرى وهو يضحك، يسرق محاضرة من البنت البيضاء ذات الجسد الحلو كالسكر، ويدعو السمراء إلى كوب من الشربات أمام البوابة الشرقية، كذلك كان يذاكر دروسه كبومة وقور ويمشى-حين تأخذه الجلالة- كطاووس.

فى محاضرة حول الزمن وقف وسط غابة من الطلبة مميزا بقبعته السوداء يجيب على سؤال للأستاذة بوقار ساخر لفت أنظار الكثير من البنات، ولكنها وحدها كان لديها شبكة جديدة فى أهدابها، شبكة صنعتها لها أمها خصيصا كى تصطاد عريسا. كان وجهها دائريا كالقمر تماما، حتى انبعاجته السفلى كانت فى ذقنها، ودون أن تلفت انتباه الأستاذة أو الطالبات المتربصات ألقت بالشبكة فى فضاء المدرج لتسبح



fb/mashro3pdf

بطيئة وتسقط فوقه دون أن يعى، ويخرج بعدها من المحاضرة لا يشعر سوى ببعض البرودة.

جاءته برائحتها المشمشية وابتسمت. البنات ابتعدن فى حقد أعجبه، وخفن أن يفقدن الشامبنزى الذى يأتيهن باللآلئ الفالصو واحمرار الخد. قالت إنها تقدس الحياة الزوجية وتحب اللعب. كانت الامتحانات على الأبواب، فقال إن الوقت لا يكفى سوى للمذاكرة والحب، وبالفعل ذهب معها إلى السينما، وجلس بجوارها فى الظلام، ووسط انتباهه الشديد غافلت وحدته ونفذت من تحت فرائه.

كانا يتمشيان سويا كل يوم بعد انتهاء المحاضرات، يسيران بمحاذاة سور الجامعة الأخضر الدائرى إلى نهايته، وكان ذلك يتطلب منهما وقتا يناهز الـ"ما لانهاية" طولا. أرادت مشاكسته فأغضبته، ولما رأت حاجبيه المعقودين أمسكت بطنها وصرخت مدعية الألم، فأخذها فى صدره وهو يعلم أنها تتدلل.

حكى لها عن حياته فوق الأشجار، فقصت عليه حكاية البنت الفقيرة والأمير العاشق، وكيف أنها انتهت بالزواج. كالشامبنزى الذى يطمح أن يكون أميرا عاشقا جلس على الكنبة فى بيتها المكون من غرفتين وصالة، كان جائعا فأحضروا له طعاما طيبا، مدد على الكنبة فغطوه بغطاء ثقيل وقبلوه، ولما استيقظ وجدهم مايزالون حوله. لها أخت هادئة، وأخ ذو شقاوة حلوة، أبوها ابتسم له وأمها زوجته إياها، وعمت البيت سعادة بالأمير العاشق.

-والآن هل حان وقت اللعب يا بنتى الفقيرة؟

- نعم يا أميرى العاشق.



fb/mashro3pdf

لعبا لعبة القنفذ والعصفورة. أطلق لحيته كي يداعبها شوكه فتضحك. أخذها إلى قلب البحر وهناك قبلها وسط غيرة الأسماك. هطل المطر شديدا فلعبا لعبة الفتاة الصغيرة والشمسية، جاء البرد قارسا فلعبا لعبة الشاعر المريض والمدفأة. في قلعة صلاح الدين وضعها في المحراب وصلى، بينما كانت هي تضحك من الخجل.

-نلعب استغماية؟

-اغمضي عينيك

واختفى كطيف، أخذت تبحث عنه في شتى أنحاء الجامعة، وسط تجمعات البنات تبحث، وتفتش في صدورهن. بدأ اللؤلؤ يتساقط من عينيها:

- اظهر وبان عليك الأمان .. لا أريد أن ألعب

- أنا هنا يا جمييييييييييل

كان يصفر لها من أعلى قبة الجامعة، جرت ناحيته ضاحكة. كم كانت بريئة وقصيرة كطفلة في الثالثة، وكم كان يحب أن يضعها في جيبه ويتشقلب إلى غابات أخرى، وسهول، وجبال... وفور أن مدت يدها كي تمسك به..اختفى.

لم ترتبك في هذه المرة، انطلقت تبحث عنه في الحدائق، في قلب الزهور، في تجويفات الأشجار. هذه المرة وجدته بنفسها مختبئا بين نسمتين إحداهما شمالية والأخرى جنوبية:

- هاها... وجدتك!



fb/mashro3pdf

كان هو يضحك معصورا بين النسمتين الرقيقتين لا يستطيع الحركة، تدغدغه جزيئات الهواء البارد. مدت يدها الرقيقة -التى تستحق قبلة ملاك- إليه كى تخرجه. حمل عنها حقيبتها الثقيلة وأوصلها إلى منزلها.

-مضى على زواجنا عام، ألن تشترى لى الدبلة؟

واشترى لها دبلة ذهبية، وهيأت له الفراش، وضع الدبلة فى إصبعها وسط الزغاريد، ملأت منزلهما الجديد بالنباتات الخضراء، وكانت حياتهما سعيدة للغاية، يتشاجران صباحا، وفى المساء يشترى لها الجاتوه الذى تحبه كثيرا، وتطبخ هى السمك والنبيذ الأبيض ثم يلعبان فوق أوراق الشجر.

بين الصبح والمساء كان هو يذهب إلى عمله ويجلس إلى مكتبه مثل سلحفاة، أما هى فكانت تفكر:

-لماذا أظل أنا البنت الفقيرة؟

وبينما كانت تفكر جاءتها آلام المخاض، وتحولت إلى قطة مفترسة. عاد فأدمت جلده كله، وجرّحت حوائط البيت الجديدة، ومزقت النباتات الخضراء.. غضب منها فصالحته وأنجبت له كتكوتا.

قولوا لى بالله: هل يمكن أن يجتمع شامبنزى متشقلب وقطة مفترسة وكتكوت صغير فى بيت واحد إلا فى حكايات الأطفال؟

كان عليه إذن أن يسافر إلى باريس، وأن يصاحب المتشردين الحقيقيين الذين لا يأكلون سوى البيرة والجبن. قفز إذن فى السماء البيضاء للبحر المتوسط بعد أن ربط ضفيرة حبيبته فى الدبلة كيْ لا تضيعا (الدبلة وحبيبته)، واستقل إحدى السحابات المتجهة إلى باريس وهو يظن أن حبيبته تخفى عينيها بيديها وتعد من واحد إلى عشرة.



fb/mashro3pdf

فى غيبته مات الكتكوت، وقصت الحبيبة ضفيرتها حزنا، بحثت تحت المقاعد، تحت السرير، فى الدولاب والثلاجة وأحواض الزرع ولكنها لم تجد حبيبها الشامبنزى الأمير العاشق.

-اظهر وبان عليك الأمان!

ولم يظهر الشامبنزى الأمير العاشق.

-اظهر وبان عليك الأمان!

لا حس ولا خبر من الشامبنزى الأمير العاشق.

غضبت وطوحت بدبلتها المشبوك فيها ضفيرتها فى الهواء.

فى ذلك الوقت نفسه كان هناك عازف جيتار اسمه ستيفين تعرف على الشمبانزى فى باريس ونصحه:

- لا تلعب استغمايه مع بنت، فبعد قليل سيصيبها الملل وتترك الجرن، أنت وحدك ستبقى حتى الليل مع الأشباح، لا تستطيع أن تخرج كيلا تفسد اللعبة، ولا تستطيع أن تنام هنيئا.

- لا تخف، لن تستطيع أن ترحل، لقد شبكت الدبلة فى طرف ضفيـ...

وقبل أن يتم كلمته سمعا برقا ساطعا فى السماء، وإذا بدبلة ذهبية تطير عاليا مشبوك فيها طرف ضفيرة.

هناك فوق إحدى السحابات الكبيرة يجلس كبير الملائكة القرفصاء، مؤديا وظيفته التى خُلق لها: التأمل. لم تكن لذلك الملاك الأكبر أية خواص مادية سوى أن فراءه الأبيض يجذب المعدن المقدس إليه إذا اقترب، لذا عندما زادت الدبلة الذهبية علوا فى السماء التصقت بفراء الملاك



fb/mashro3pdf

المتربع فوق سحابة ضخمة ومختنف بها عن الأنظار، وظلت الضفيرة مدلاة من السماء دون أن ينتبه الملاك نفسه إلى ما حدث.

-إنها ضفيرتي..رتها..رتي..رتها!

-لا يوجد سوى حل واحد إذن..

اجتمع صعاليك باريس ورجعوا إلى الخلف أما هو فكور مؤخرته الشامبنزية في مواجهتهم، ومع صفارته اندفعوا وركلوه في مؤخرته ركلة رجل واحد فطار عاااااااااااااااااااااااااااااليا وتعلق بطرف الضفيرة.

بعد أن قصت ضفيرتها نظرت في المرآة:

-لست بنتا فقيرة.. أنا الأميرة العاشقة!

الآن هو يراها ولا تسمعه، يراها تخلع ثوب القطة، يحاول أن يصرخ لكن الصوت لا ينتقل في الفراغ، من بعيد يرى شامبنزى آخر يتشقلب من الطفولة في اتجاه حبيبته، يصرخ أن تنتبه، وتتمزق شعرات الضفيرة في يده، والملاك لا يشعر به، وترتدى هي جلد الغزالة الأميرة العاشقة، ويرتدى الشامبنزى الجديد جلد الولد الفقير.

يداه تتخدلان، يُسقط إحداهما ويتشبث بالأخرى. البيت الحميم ذو الحجرتين والصالة، والأخت الهادئة، والأخ الشقى بحلاوة، والأب المبتسم، والأم... عضلات ذراعه العلوية تنخلع من منبتها في الكتف، ولكن أصابع يديه قوية، يتشبث في شعرة واحدة باقية. صوته لا يصل إلى الملاك.. لا يصل إلى البنت الغزالة الأميرة الفقيرة..

الشامبنزى الجديد يشترى دبلة جديدة، والفراش يتهيأ، والزغاريد وحدها تنتقل عبر الفراغ كي تصل إلى أذنيه، يخبط بيده المتدلية على رأسه ويصرخ في ألم. يغمض عينيه، لكن الرؤية لا تختفي، يغمض

fb/mashro3pdf

عينيه أكثر، يفعصهما بين جبهته وخديه، ويظل هكذا طويلا حتى ينقلب النهار ليلا.

فى الليل يزول الألم، يشعر بهدوء شديد حلو كالموت، يشعل سيجارة بيده المتدلية ويدخن فى سلام، يتحرك دون إرادة مع سحابة الملاك الضخمة المتجهة شمالا، منتظرا أول سحابة جنوبية تمر بالقرب من مؤخرته كى يسقط نفسه عليها متجها إلى حضن أمه.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# مؤتمر الكمّة الإفريكية

fb/mashro3pdf

مكالمة سريعة وردت وانتهت فى دقيقة أو أقل، شغلتنى ليلتين، ومنها خرجتُ بهذه القصة.

جاءنى الصوت الغريب يتحدث بالإنجليزية، كان يبدو أن صاحبته سكرانة. فى البداية اعتقدت أن "النمرة غلط"، لكننى سمعت اسمى وسط كلمات إنجليزية متفرقة بلكنة إفريقية. صاحبة الصوت قالت إنها تتحدث من "أكرا"، سألتنى عن الأحوال واستفسَرت عما إذا كنت أخطط لزيارة غانا ثانية قريبا. قلت لها إن شاء الله، وشكرتها على سؤالها، فأغلقَت الخط.

كان قد مر ما يقرب من عام على زيارتى للعاصمة الغانية، وكنت قد نسيت تماما تلك الرحلة، ليس لسبب سوى أننى أنسى كثيرا. أقصد أننى لم أعد أتذكر الكثير، أو لم أعد أتذكر بسهولة. وأظننى سأضيّع أحداثا أساسية فى حياتى قبل أن أبلغ الخمسين، وسيعاملنى أصدقائى وقرائى باعتبارى كاتبا موهوبا نصف معتوه، لكننى واثق أنهم سيكنون لى بعض الاحترام.

ليلتان كاملتان قضيتهما فى التذكر، وها هنا كل ما تذكرته.

fb/mashro3pdf

ذهبت إلى أكرا لتغطية مؤتمر القمة الإفريقية، أو "الكمة الأفريكية" كما نطقها ضابط الجوازات بكل جدية حين كان يراجع جواز سفرى ويسألنى- من باب كسر الملل- عن سبب رحلتى.

الضابط كان واسع العينين، ضخم الأنف، وجهه مزين بابتسامة لا يقصدها، وكأنها عيب خلقى فى سحنته. أتذكر تلك التفاصيل التافهة جيدا لأن مظهره هو الذى جعلنى أتوجه إليه، رغم وجود اختيارات أخرى.

كانت لحظة اختيار، خيار تافه، لكنه يظل خيارا لا بد من حسمه: أن تتوجه ساحبا حقيبة سفرك نحو بوابة الدخول، فتجد أربعة شبابيك مستعدة لاستقبالك، يجلس بداخلها أربعة ضباط، السمين والرفيع، ذو النظارة والأصلع، الوسيم والمبتسم والمتجهم. عليك فى لحظة واحدة اختيار الشباك الذى ستتعامل معه، عملية مجهولة وغريبة تدور فى ذهنك، قد تنتهى فى ثانية واحدة إن كنت من أقوياء العزم، وقد تقودك إلى تردد يجعلك تترنح خطوة إلى اليمين وخطوة إلى اليسار فى محاولة لكسب ثانية أخرى. لحظة تافهة للغاية من لحظات الحياة، لكنها تشغل عقلك فعليا، تلتهم جزءا ضئيلا منه. مثل تلك اللحظات أتذكرها بكل وضوح.

أنا صحفى. كُلفت بتغطية مؤتمر القمة الإفريقية، كانت ستناقش مسألة "الولايات المتحدة الإفريقية"، دُبجت الافتتاحيات وكُتبت المقالات فى طول وعرض وعمق القارة عن ذلك المشروع الطموح، الذى سينقل القارة السوداء نقلة نوعية على خريطة العالم، ويجعلها تلحق بالركب، وربما يقضى على الملاريا والإيبولا والإيدز. وكان كالعادة مؤتمرا مضحكا، انتهى



fb/mashro3pdf

بمطاردة الصحفيين لسلطان سلاطين إفريقيا، أملا فى الحصول على لقطة لبذلته المثيرة.

أسبوعا كاملا قضيته وأنا أتسكع فى أزقة القمة، محاولا الإتيان بخبر لم تأت به وكالات الأنباء، أو جمع تفاصيل تضفى على التحقيق السانج الذى سأكتبه روح المكان، وتضيف إليه لمسة من المتعة تعوض نقصه المعلوماتى. من داخلى كنت مقتنعا تماما بفكرة واحدة، أن مؤتمر "الكمة الأفريكية" ذلك لا يستحق الكتابة عنه أصلا، وأنه إذا كان لدى القادة والزعماء والملوك والرؤساء الأفارقة وقتا يضيعونه فى تلك الاجتماعات التافهة، فإن صحفيا محترما مثلى يجب أن ينأى بنفسه عن تلك المهاترات. انتهى الأمر بصفحة كاملة كتبتها عن أجواء المؤتمر وأحوال القارة، وأرسلتها إلى جريدتى، كما انتهى بزيادة كراهيتى لمهنة الصحافة. وبقى لى يوم قبل السفر، فقررت التوجه إلى الشاطئ لأستمتع بالشمس الإفريقية الساخنة وأحصل على بعض السمار المحبب.

بسماعتى "ووكمان" فى أذنى، ورواية للنيجيرى وول سونيكا، جلست على شاطئ المحيط الأطلنطى، أسفل مظلة، على كرسى من القش، ممددا ساقى على الطاولة، راسما سمت الاسترخاء، وإن كنت أفكر فى ذلك الشقاء غير المبرر الذى أنعمت به الأقدار علىّ.

أقول لكم، واعذرونى فى قولى، إننى شاب ولا كل الشباب، أتمتع بقدر من الوسامة، قدر من النجاح، قدر من الثروة، قدر من الذكاء، قدر من الموهبة، وقدر من الصحة، بيد أننى أتمتع- أيضا- ببؤس مزمن، وكلما حاولت جدا واجتهادا أن أقترب من أسباب السعادة ابتعدتُ عن السعادة، وكأن السعادة نفسها منبتة الصلة تماما ونهائيا عن أسبابها.



fb/mashro3pdf

أنا مصاب بمرض روحى غريب، لنقل إنه مرض استباق النهايات، عندما أفتح زجاجة بيرة مثلجة أراها وهى منتهية، عندما أتسلم وظيفة جديدة أرانى وأنا أقدم استقالتى، وعندما أحب، أرانى فى لحظة الفراق. إن هذا النوع من الأمراض يستعصى على العلاج، حتى الزانكس والبروزاك والسيبراليكس والمخدرات الحميدة تعجز عن مداواة الخيال. وإن كانت تستطيع –فى بعض الحالات– أن تمنح النفس استسلاما يشبه الرضا.

مثل هذه الأفكار كثيرا ما تستغل وحدتى وتكرَ علىَ، فألوذ بالشراب. طلبت زجاجة بيرة. فأتتنى واحدة هائلة الحجم، طيبة المذاق، ندية وباردة. ارتشفت منها وأخذت أفكر بكل انبساط فى تعاستى. حين بدءوا فى التوافد.

فى البداية جاء بائع الفضة التشادى، كان طويلا طويلا، ورفيعا بدرجة أسطورية. جلس إلى جوارى وشرع يثرثر: قال إنه من الطوارق، يجلب الفضة من تشاد ليبيعها فى العالم المتحضر، فى ليبيا. قال إنهم قبضوا عليه فى ليبيا، لكنه استطاع الهرب من السجن والعودة إلى بلده، ومنها جاء إلى غانا بحثا عن رزق أوسع.

سألته لماذا قبضوا عليه، لم يفهم سؤالى، وشرع يشرح لى كيف هرب من السجن. قال إنه استغل نحافته الشديدة وانسل من بين القضبان، طلب منى أن أنظر إلى رأسه، وأوضح: "لم تكن هكذا، لم تكن مسحوبة هكذا، لكنى فعصتها بين القضبان".

أقنعنى بشراء قلادة فضية لحبيبتى، ورغم أننى لم تكن لى حبيبة، فلم أحرم نفسى من ذلك الشعور العظيم، خاصة وأن القلادة كانت جميلة،



fb/mashro3pdf

وبعد انتهاء الصفقة ظل جالسا على الرمال بجوارى، أخرج لقيمات من حقيبته القماشية، وأخذ يقرضها بين الحين والآخر.

ثم جاءت هذه الفتاة الطيبة، أو لنقل هذا الفتى. الأفضل من باب الاحتراز أن نسميه هذا الإنسان. جاء هذا الإنسان الودود ليتعرف على هذا الشاب الأبيض الأجنبى -أنا- الذى يجلس وحيدا على الشاطئ، قال اسمه- اسم يصلح لولد أو لبنت- كان شعره قصيرا وصوته رقيقا، يرتدى تى شيرتا واسعا لا تعرف أبدا إن كان يخفى تحته نهدين، كان ودودا وبدأ فى التحدث إلى، عرفنى بنفسه، وسألنى من أين أنا، وتجاذب معى أطراف حديث طيب، وكنت أكلمه بنصف عقل، وبالنصف الآخر أحاول جاهدا أن أجيب عن هذا السؤال الذى كلبش فى ذهنى كالعلقة: ولد أم بنت؟

والحقيقة أن عجزى عن معرفة جنس هذا الإنسان قد سبب ألما حقيقيا فى ضميرى وخللا فى معتقداتى، فطالما اعتقدت أننى إفريقى أسود أخطأ طريق ميلاده فسقطت رأسه فى شمال القارة، وحلمت أن أقضى بقية عمرى فى إحدى بقاعها الداخلية الساحرة أو طوافا بين بلدانها. الآن تخلخلت قناعاتى، فكيف أكون إفريقيا وأعجز عن إدراك إذا كان أخى الإنسان الإفريقى الجالس جوارى ذكرا أم أنثى. فى نهاية الأمر أنت تحتاج لمعرفة جنس الشخص كى تستطيع التواصل معه، لا أقول أن تعرف ميوله الجنسية، ولكن يجب أن يكون لديك فكرة- ولو بسيطة- عما يخفيه هذا الشخص أسفل بنطاله.

لو كنت فى مكان آخر، فى قارة أخرى مثلا، لما شغلنى هذا السؤال كثيرا، كان بإمكانى كأى شخص متحضر أن أتعامل مع الإنسان على أنه



fb/mashro3pdf

إنسان بغض النظر عن نوعه، لو كنت فى آسيا مثلا أو فى أوروبا وقابلت إحدى البنات حليقات الرءوس اللاتى يتشبهن بالأولاد، أو أحد الأولاد المائعين الجميلين الذين يتمتعون بطراوة البنات، لتعاملت مع الأمر ببساطة، لكن الوضع فى أفريقيا مختلف.

وقد ظلت تلك الواقعة بالذات تنغصنى فيما بعد، بل وأوصلتنى لقناعة غريبة للغاية، أننى مجرد انسان أبيض عادى، وأن انتمائى الإفريقى ليس أكثر من وهم، أو حلم من أحلام الصبا، تبينت سذاجته مثله مثل الكثير من أحلامى.

كان لابد لهذا الموقف من حل فى تلك اللحظة، لذا اخترت أن يكون محدثى فتاة، وتعاملت بهذا الافتراض الذهنى، ولكن دون أن أوجه أى كلمات "جندرية" يمكن أن يفهم منها أننى أعامله كفتاة. فأنت لن تحب أن يخطئ أحد فى جنسك فى نهاية الأمر، بل ولن تسامحه، حتى لو كان أجنبيا.

كلمتنى تلك الفتاة عن مدينتها "كيب كوست"، عن قلعة العبيد الشهيرة بها. كانوا يسمون المدينة "بوابة اللا عودة" حيث كانوا يشحنون العبيد من إفريقيا إلى أمريكا، لينفصلوا تماما عن أرضهم، لا يعودون إليها أبدا، ولا حتى ليدفنوا فيها، يعملون –إن وصلوا أمريكا أحياء– فى أعمال شاقة حتى موتهم، محرومين، ليس فقط من الحياة الكريمة، ولكن من مجرد الأمل فى رحمة السماء. وعندما يموتون تعجز أرواحهم عن عبور المحيط والعودة إلى أرض الأجداد، والروح التى تحاول تغرق ثانية فى البحر العظيم، ثم تهيم روح الروح الغارقة لتغرق، ثم تغرق روح الروح

fb/mashro3pdf

التى غرقت بعد أن غرقت. لو كان ثمة مقياس للتعاسة، فقد كان هؤلاء أكثر التعساء تعاسة.

انضم إلينا بعد ذلك صديق آخر، صحفى غانى كنت قد رأيته فى فعاليات مؤتمر القمة، وكان يتبعنى كظلى، هل جاء هنا بالصدفة أم كان يراقبنى؟ دعوته إلى زجاجة بيرة، حدثنى عن أوضاع القارة، وعن تفاصيل المبنى الجديد للاتحاد الإفريقى الذى سيشيد فى العاصمة الأثيوبية أديس أبابا. تقاسما أذنىّ، وتنافسا فى أريحيتهما وحبهما لى، ثم بعد دقائق، جاءت امرأتان سمينتان مع أربعة أطفال، وطلبوا أن يجلسوا معى أسفل المظلة. رحبت بهم بابتسامة الأجنبى الحميمة الواسعة.

انتهيت من زجاجتى الثانية، وطلبت الثالثة. بدأت فى الانتشاء، وبدأ صوتى فى العلو وأنا أناقش الصاحب عن يمينى، والصاحب/الصاحبة عن شمالى، كل منهما يحاول أن يجذب انتباهى لكى يستولى علىّ من زميله، كنت كائنا فضائيا، واستسلمت لتلك الحقيقة، وحاولت الاستمتاع بها.

مع طلبى للزجاجة الرابعة نظرت لى إحدى المرأتين السمينتين شذرا وهى تقول: "ألن تطلب شيئا للأطفال؟" فطلبت شيئا للأطفال.. أنا الأجنبى الكائن الفضائى، أنا الأبيض الذى -بالتأكيد- يمتلك من الأموال ما يفيض عن حاجته. ثم أننى أحب الأطفال، أجلست أحدهم على حجرى كى يلعب بى قليلا بينما أواصل نقاشى مع الصحفى.

متى جاء الطبال؟ قبل أن يتبول الطفل على ملابسى أم بعدها؟ للأمانة لست واثقا من التوقيت. على أى حال كنت بملابس رياضية خفيفة، وبعطف شديد أخذ صديقاى (الصحفى والإنسان) يحاولان تنظيف



fb/mashro3pdf

حجرى، وفى عيونهما شعور بالمسئولية، وكأنهما هما اللذان تبولا علىّ، كان موضوعا كبيرا واستسلمت أنا لإجراءات المسح.

صعدت إلى كشك علوى حيث الحمام، لكى أغسل الشورت وأتبول، هناك كانت فتاة خلاسية جميلة بمايوه من قطعتين، نظرت إليها فثبتت نظرتها فى عينى، وعند خروجى من الحمام دعتنى، تبادلنا حديثا سريعا حددت لى فيه سعرا معقولا، فوعدتها أن أفكر، ولكن ليس الآن.

لست جريئا بما يكفى لأضاجع فتاة ليل إفريقية جميلة، أخاف من الأمراض، أخاف أن ينقطع الواقى الذكرى، أخاف أن تسرق نقودى، أخاف أن أعجز عن الانتصاب فأصاب بالاكتئاب، لكنى أقول لنفسى إن ذلك الخوف ربما ينكسر بعد زجاجتين أخريين، فأعود إلى جلستى.

ربما يكون الطبال قد جاء فى تلك اللحظة، فأنا فريسة لا يمكن للعين أن تخطئها، أبيض على شاطئ من السود، أجمع حولى أبناء البلد، أضحك معهم، وأسمح لأطفالهم أن يتبولوا فى حجرى. جاء الطبال وهو يمسك طبلتين إفريقيتين، حاول أن يعطينى واحدة كى أعزف معه إيقاعا، ضحكت وقلت له إننى لا أريد، ولا أملك نقودا، نظر إلى غاضبا، وقال إنه لا يريد نقودا، فقط يريد أن يعلمنى إيقاعا إفريقيا. أكدت عليه مرة ثانية أننى لن أدفع، فهز رأسه موافقا بحزم.

بدأ يضرب على الطبلة وأقلده، نعزف الإيقاع نفسه، ثم يعزف كل منا إيقاعا مكملا للآخر، ضج الشاطئ بإيقاعات صاخبة، وزاد عدد الناس أسفل مظلتى، وبعد دقائق كان الجميع يكلموننى كأننى أعرفهم، ولم أعد أعرف من منهم أعرفه ومن لا أعرفه. لكننى تعاملت على أننى أجلس وسط عائلتى الإفريقية الكبيرة.



fb/mashro3pdf

ثم جاء عازفو طبول آخرين، اثنين أو ثلاثة، وانتشيت بالموسيقى، وبدأ أحدهم فى غناء أغنية إفريقية بلهجة محلية، ورقص الأطفال، وابتسمت المرأتين السمينتين وطلبتا كوكاكولا أخرى للأطفال على حسابى. ثم توقف العازفون عن العزف، وقالوا لى إننى عازف ماهر، فأخرجت لهم نقودا، أخذوها ومضوا مبتسمين.

فى الزجاجة الخامسة كنت قد وصلت لدرجة طيبة من الانفعال، قررت أننى سأبقى فى هذا البلد أسبوعا آخر، دعونى جميعا لزيارتهم، ووعدتهم جميعا بالزيارة، تبادلنا أرقام التليفونات، واتصل "الإنسان" بوالدته/ والدتها لكى ترتب لنا غداء فى بيتها بعد يومين. لا أعرف مَن مِن أصدقائى كان موجودا ساعتها ومن رحل، لكن فى تلك اللحظة كانت فتاة الليل عن يسارى، أمسكت بيدى ووضعتها على فخذها، فشعرتُ أننى سعيد جدا.

أما صديقى الصحفى الغانى فكان فى حالة يرثى لها، لقد صمم على مواصلة النقاش عن السياسة الإفريقية، عن العلاقة بين شمال إفريقيا وبين أفريقيا جنوب الصحراء، زجاجة البيرة التى لم يكملها، والتى دعوته أنا إليها ودفعت أنا ثمنها، جعلتنى فى عينه من البيض المستعمرين، وبدأ فى مهاجمتى، كان حوار طرشان، كنت أحاول تهدئته فأزيده انفعالا، وكل دقيقة ونحن فى عز احتدام النقاش تسحب فتاة الليل يدى لتضعها على جزء من جسدها، طلبت لها زجاجة بيرة كى أشغلها قليلا، ثم تكفل أحد أفراد عائلتى الأفريقية بمحاولة تهدئة الصحفى، الذى هب منفعلا استعدادا لمغادرة المكان وهو يشرب آخر رشفة من

fb/mashro3pdf

زجاجة البيرة ويتفوه بكلمات تشبه شتيمة محلية، قلت له اجلس سأطلب لك واحدة أخرى، فتردد قليلا، ثم جلس صامتا.

هل جاء مروض الثعابين فى تلك اللحظة؟ رجل ضخم عارى الصدر يلف حول عنقه ثعبانا ضخما، تحدث إلى، مقابل أجر قليل سيلف الثعبان حول عنقى ويلتقط لى صورة فوتوغرافية معه. قلت له ليس معى كاميرا، قال إنه سيصورنى ويعطينى الصورة فى الغد "كم ستظل معنا"؟ قلت أسبوعا أو شهرا، ربما أظل هنا للأبد. ضجت عائلتى الإفريقية بالفرحة، فطلبنا عددا من زجاجات البيرة الضخمة احتفالا بالمناسبة.

كمية الكحول فى جسدى أكسبتنى الشجاعة، فاحتضنت الثعبان وصرت أقلبه وألفه حول عنقى، كان ثعبانا أليفا، أو ربما كان عجوزا أو مريضا أو مصابا بالاكتئاب، اكتئاب جعله ساكنا تماما، وناظرا إلى الكاميرا بعينين بدتا خاليتين من التعبير، لكنهما بالتأكيد ذواتا معنى بالنسبة لمعشر الأفاعى، والتقط لى المروض صورا لم أحصل عليها حتى الآن، لكنى أتذكر التصفيق الذى نلته من عائلتى الإفريقية، وأتذكر أن فتاة الليل مدت يدها ساعتها خلسة، فانتصبتُ انتصابا موجعا، ثم همسَتْ فى أذنى "هل ستدفع لى الآن"؟

هربا من سؤالها واستجابة لرغبتى فى التبول صعدتُ إلى الحمام ثانية، وجدت فتاة الليل جالسة فى مكانها، أنا لا أهذى، ربما كانت بعض الأحداث مشوشة فى عقلى، ولكن تلك الواقعة بالتحديد أتذكرها كما أتذكر اسمى. كانت نفس الفتاة، بنفس الجلسة ونفس الابتسامة، موجودة فى مكانين. بأسفل وأعلى. استوقفتنى وقالت لى "هل ستدفع لى

fb/mashro3pdf

الآن؟".. هربت إلى الحمام، وعندما خرجت لم أجد النسخة العلوية.. كانت نسخة واحدة بالأسفل.

عدت إلى جلستى وكان العدد قد تضاعف، بدءوا يتعاملون وكأنهم فى حفلة، لم يعودوا يهتمون بى أنا شخصيا، البعض كان يتحدث، البعض يأكل أو يشرب، أو يتمدد فى ظل الشمسية، خمسة من النساء المتلئات، ما يقرب من دستة أطفال، فتيات وشباب، مروض الثعابين جالس على الرمال يشرب سيجارة من علبتى، زجاجة البيرة التى كنت أشربها باتت الآن فى يد إحدى النساء المتلئات،

وشرع بائع الفضة التشادى فى البكاء.

سألته عن سبب بكائه، فقال إن ابنه "مسحور"، ابتسمت وسألته عن نوع السحر، فقال إن الطفل راقد فى الفراش مقسوم نصفين، نصف علوى ونصف سفلى "عندما يريد أن يتبول أحمل نصفه السفلى وأذهب به إلى الحمام، فالساقان لا تستطيعان الإبصار".

لم أشعر برغبة فى مواصلة ذلك الحديث فأشحت بوجهى إلى الناحية الأخرى. الطبال عاد مع أصدقائه وتحلقوا على الرمال حول المظلة، زجاجة بيرة جاءتنى دون أن أطلبها، الكل كان يتحدث فى صخب احتفالى.

كان الليل قد حل دون أن أنتبه، حين جاء الساحر، انتصب فجأة من وسط الجمع وكأنه كان موجودا من أول دقيقة، صرخ بصوت عال فصمت الجميع، ثم بدأت إيقاعات الطبول بطيئة، أغمض عينيه وأخذ يهمهم، ويرقص رقصا بطيئا، محنى الجسد، ثم بصق على الأرض فتساقطت بضع حبات من خرز أخضر، ودمدمت الطبول أعلى ففصلتنا عن الشاطئ



fb/mashro3pdf

والعالم، وبصق الساحر حبات من خرز أزرق، ثم أحمر، ثم أصفر، وازداد التصفيق، وتعالت الصيحات، وفجأة طرقع بإصبعيه فانطلقت من بينهما شعلة صغيرة فى الهواء، وتسارعت إيقاعات الطبول، وتسارعت طرقعات أصابعه، وتعالت الشعلات المضيئة، شهب بالغة الصغر تحترق فوق رءوسنا، وحبات من خرز تغطى الرمال حولنا، وشعرت بمثانتى تكاد تنفجر، وبرأسى يدور. صعدت إلى الحمام، ومن هناك أطللت على المشهد، وانتابتنى رعدة مفاجئة، لقد كانوا هناك بالأسفل، ثلاثين أو أربعين أو خمسين من الغرباء، عازفو طبول وفتيات ليل ونساء وأطفال ورجال، وحبات خرز ملونة وشعلات تضيىء الليل وثعبان ونسناس على كتف رجل لم أره من قبل، عيناى تضاعفان الأشياء، والرأس يدور بلا توقف، وإحساس بالكآبة يلتهم روحى، يقضمها فى سرعة، قضمة بعد قضمة، وأغرق فى سواد عميق، أشهق وأعاود الغرق، وأتمنى لو أموت هنا والآن، هنا والآن.. وفى لحظة يصفق الساحر صفقة قوية فتنطلق كرة نارية فى حجم التفاحة، وأعود إلى الوعى فجأة. أتنفس الصعداء وأنا أخرج من جب كآبتى الحالك، أقتنص الفرصة، أدفع حسابى وأتسلل هاربا، أخرج من الشاطئ، أقفز فى سيارة أجرة، مقررا أن أهجر تلك المدينة بمجرد أن أستيقظ.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# مزرعة البنات

fb/mashro3pdf

زارتنى فيما كنت أستعد للذهاب للعمل. أنا أعمل فى مزرعة بنات، نأتى بأجنّة بنات حديثة التكوين، فور تلقيح البويضة بحيوان منوى مكافح، ونزرعها فى الأرض، نعتنى بها ونرويها، نسمِّد لها بالورود والعطور، نشغِّل فى الحقل سماعات ضخمة تبث موسيقى رقيقة وهادئة، ونترقب اليوم الأول الذى تظهر فيه رءوس البنات المغمضة من الأرض بشعرها الناعم الخفيف، فى ذلك النهار نهنئ بعضنا بظهور المحصول المرتقب، وفى الليل نحتفل احتفالا صاخبا فى الحقل، وتسقط الأمطار على رءوس البنات بشعرها الناعم الخفيف.. فيبتسمن.

زارتنى فى الصباح الباكر، بعد أن خرجتَ لتوى من الحمام بفوطة ملفوفة حول خصرى كى أعد كوبا من القهوة الأمريكية. دائما ما أتذكر إعداد القهوة وأنا تحت الدوش. رغم أنه من المنطقى أن أشغّل ماكينة القهوة قبل الدخول إلى الحمام كى أخرج فأجدها جاهزة. لكنى نسيت ذلك اليوم أيضا، وبينما كنت أضع البنّ فى الماكينة بيد واحدة، وأحاول الإبقاء على الفوطة حول خصرى باليد الأخرى رن جرس الباب.

عندما جاء الكهربائى لتركيب جرس الباب كانت أمامى خيارات لا حصر لها. أنا لا أحب البدائل، أفضل أن يكون أمامى قميص أزرق وآخر أحمر فأختار الأزرق، أما أن تضعنى فى محل للملابس به ألف لون ولون



fb/mashro3pdf

فذلك أمر لا أتحمله، أظل أتقلب بين الألوان، وتظل الجينات تتصارع فى جسدى، هذا يريد ذاك اللون، وذاك يريد هذا اللون، وأتوه، أضيع تماما، وأتخيل نفسى فى حقل من الأزهار الملونة، وأروح فى غيبوبة لذيذة، يحاول البائع إيقاظى منها بشتى الوسائل، ينادى علىّ من عالمه، يهزنى برقة ثم بعنف، يستدعى طبيبا عابرا، يرش الماء على وجهى، يضع كومة من الفلفل الأسود أمام أنفى، فأعطس خارجا من عالمى، وأعود إلى عالمه. أسحب أول قميص يواجهنى وأرحل، وغالبا لا أرتديه بعد ذلك لأن لونه لا يعجبنى.

كنت أحكى عن الكهربائى الذى وضعنى بين بدائل الجرس. هناك الجرس الحاد (تيييييت)، وهناك جرس البيانو (تن تن)، وهناك أجراس تصدح بموسيقى رومانسية (لا لا.. أووو لا لا)، وأخرى بسيمفونيات عالية، وثالثة بمقاطع من أغانى قديمة عربية وغربية وهندية. استمعتُ إلى كل تلك الأصوات، ثم أغمضتُ عينىّ ووضعت يدى على أحدها. فكان الجرس.

رن جرس الباب ووجدتها أمامى، فتاة جميلة، طويلة ورفيعة وواسعة الفم. شكلها غريب. هل يمكن أن نصف إنسانا بأن شكله غريب؟ الإنسان بطبيعته شكله غريب. ولكن شكلها كان غريبا بجد. كنت تشعر أنها كائن فضائى متنكر فى صورة امرأة جميلة. امرأة فائقة الجمال للحق.

لم تبالى بالفوطة حول خصرى ودخلتْ. ابتسامتها الواسعة جعلتنى أبتسم ابتسامة واسعة. جلستْ على الكنبة وقالت: جئت لأصطحبك إلى مكان جميل. أوضحتُ لها أننى فى طريقى إلى العمل، وأن البنات قد خرجن من التربة حتى صدورهن، وفى حاجة إلى عناية فائقة حتى يخرج



fb/mashro3pdf

الصدر بصورة ملائمة. إذا أهملتَ رعاية البنات فى تلك الفترة قد يخرجن بصدور فائقة الصغر، أو حتى غير متساوية المقاس. عليكَ تنظيف التربة من حولهن بحرص حتى لا تضغط على الصدر، والتخلص من كل الأعشاب والكائنات الضارة، وعليكَ رش الكثير من العطور، والتربيت على الرأس، والابتسام، واختيار موسيقى ملائمة لكل بنت. عليكَ أن تجرب موسيقى مختلفة حتى تبتسم البنت فتعرف أنها راضية، وأن جسدها الآن سيخرج فى أجمل أحواله. وهذا يستلزم جهدا كبيرا وصبرا لا حدود له.

الحقيقة أنها لم تكترث لكل هذا الكلام، وبدت مصممة على اصطحابى. وكان علىّ ساعتها أن أسألها عن هويتها، فقالت إنها إحدى البنات اللاتى كنتُ مسئولا عنهن.

فى المزرعة تُوكل إلى كل مزارع مهمة العناية بأربع بنات فى كل موسم، بداية من الزراعة وحتى الحصاد. الموسم يبدأ فى الشتاء، وينتهى فى الربيع. الصيف مخصص للعناية بالبنات المحصودات وتعليمهن فنون الحياة. البنت التى لا تتعلم فن الحياة قد تصاب بالعته وتتوه بين طرقات المدينة حتى تموت ميتة طبيعية أو تنتحر. لى فى هذه المهنة عشر سنوات، أخرجت أربعين بنتا، لا أتذكر أيا منهن، ولم تتذكرنى أى منهن. خرجن إلى المدينة ولم يعدن، لكننى واثق من قدرتهن على الحياة. هذه البنت هى الوحيدة التى زارتنى.

استغلّت مشاعرى التى اتّقدت فور أن عرفتُ أنها إحدى بناتى، وأقنعتنى بالاعتذار عن العمل اليوم. اتصلتُ بزميل وعهدتُ إليه رعاية بناتى بدلا منى. ارتديتُ ملابسى وتعطرتُ وتهيأتُ للخروج معها. أين سنذهب؟ قالت إننا سنذهب للمدينة. توترت أعصابى واحمرّت أذناى.



fb/mashro3pdf

عندما تتوتر أعصابى تحمرّ أذنـاى. أنـا هكـذا، وهكـذا يجـب أن يقبلنـى الناس. لا أحد يخلو من نواقص، وتلك هى نقيصتى. أما عـن لـماذا تـوترت أعصابى فلأنى لم أذهب إلى المدينة من قبل، أبدا.

أنا لا أحب المدينة. يقولون إنك يجب أن تجرب الشىء حتـى تحكـم إن كنت تحبه أم لا، ولكنـى لا أحـب المدينـة لدرجـة أننـى غـير مـستعد لتجريـب المدينـة. المدينـة مكـان قـاس، ملـىء بالبـشر، ملـىء بالرجـال والبنات، سواء أولئـك اللاتـى وُلـدن ولادة طبيعـة أو زُرعـن فـى المزرعـة. المدينة مكان ملـىء بالمخلوقـات، والمـصنوعات، والمنغـصات، والمفرحـات، ملـىء بالمبـاهج والأحـزان، بالتعـب والدعـة، بـالغنى والفقـر، بـالفحش والرضا، وفوق كل شىء ملىء بالجرائم.

فـى المزرعـة لا جريمـة. لا شـىء يـستدعى الجريمـة. لا توجـد ممتلكات. كل العمال متساوون فى بذل الجهد، ولكل بيت لطيف به حمام نظيف وكنبة مريحة وجرس كهربائى وماكينة قهوة. مكتبة المزرعة فيها كل ما تشتهى من كتب وموسيقى. سكان المزرعة لا ينقصهم شىء.

لكنها استخدمت معى المنطق الذى لا يمكن أن تدحضه: كيـف تكـره المدينة وأنت لم تجربها؟ وكان أن سحبتنى للخارج، وركبتُ وراءها البطة التى كانـت فـى انتظارهـا. بطـة ضـخمة لم أر مثلـها فـى حيـاتى. بيـضاء وجميلة، وفوق ذلك مريحة. طارت البطة فاصطدم الهواء بوجهى وشعرت بانتعاش لم أعرفه فى حياتى.

بعد عشر دقائق من التحليق السعيد كان صـدرى قـد امـتلأ بطاقـة لم أعهـدها مـن قبـل، نزلنـا فـى مطـار المدينـة المتلـئ بطـائرات مـن كافـة الأحجام، بداية من الإيرباص وحتى البط البرى. ألـف بطـة وبطـة بـألف



fb/mashro3pdf

لون ولون وألف حجم وحجم، آه لو كان علىَ اختيار بطة، لكنت ساعتها وقعت فى حيص بيص، ورحت فى غيبوبة قد لا أفيق منها، فسكان المدينة لن يخطر ببالهم أن يضعوا الفلفل الأسود أمام أنفى، بل لن يكترثوا أصلا بشخص راح فى غيبوبة، أو راح فى داهية.

نامت بطتنا على المر، وانطلقنا نحن فى الشوارع، الفتارين المزدحمة، البنايات الشاهقة، قصات الشعر الغريبة، والكائنات الأغرب، لا تعلم أيها خلقه الله وأيها من صنع الإنسان.

لا أطيل عليك، فأنت بالتأكيد تعرف المدينة أكثر منى أنا المزارع البسيط. ما أحب أن أقوله فى هذا الصدد أننى فى يوم واحد رأيت أكثر مما رأيت فى حياتى بطولها. ذهبت إلى مقر عمل فتاتى. هى تعمل فى مصنع لإنتاج المزارعين. فى هذا المصنع الذى يدور بماكينات على أحدث طراز يجرى تصنيع أطفال صغار بمواصفات خاصة -أهمها الصبر والرضا- وتصديرهم إلى المزرعة كى يصيروا مزارعين. فتاتى تعمل ١٢ ساعة يوميا، خمسة أيام فى الأسبوع، وتتقاضى أجرا لا بأس به، يسمح لها -فى أيام الإجازات- بالذهاب إلى السينما التى زرناها معا، وتناول الغداء فى المطعم الذى تناولنا فيه غداءنا سويا، والذهاب إلى البار الذى اختتمنا فيه ليلتنا قبل أن تطير بى -مشكورة- عائدَيْن إلى بيتى على ظهر بطتها.

فى البار قالت لى إنها تريد أن تتزوجنى وأن نعيش سويا فى المدينة. أنا أفكر فى الزواج منذ فترة، ولكن ليس فى المدينة، وليس من إحدى بناتى. هناك بنات القرى حول المزرعة، مطيعات ومهذبات وفنانات فى الطبخ، هن الزوجة المثالية لكل عمال المزرعة. لم يتزوج أحد عمال المزرعة من إحدى بنات المدينة من قبل. ولا أريد أن أكون أول من يجرب، الأول



fb/mashro3pdf

دائما ما يصاب باللعنة، أن تكون الثانى أو الثالث أفضل، أن تكون العاشر أو العشرين أفضل وأفضل. أما أن تكون الأول.. هذا ما لا أحتمله إطلاقا.

لم أعرف بما أجيب، كانت الخمر تدغدغ رأسى دغدغة لذيذة، وكنت أميل إليها حقا، بل -وللعجب- أميل إلى المدينة أيضا، حاولت التحجج بعملى، حاولت أن أشرح لها فرحتى ساعة الحصاد.

عندما يجىء موسم الحصاد نبدأ فى الحفر حول أرجل البنات اللاتى نبتن من التربة بكامل طولهن، لكى نساعد أقدامهن الصغيرة الرقيقة على الخروج من الطين. نمسك بأيدى البنات ونمشى معهن خطوة بخطوة، يتعثرن ويسقطن فنساعدهن على الوقوف من جديد، واحدة واحدة، بصبر لا حدود له نعلمهن المشى، بعضهن يمشين فى اليوم الأول، والبعض الآخر يحتجن إلى أسابيع قبل تعلم المشى بطريقة صحيحة -بحسب مهارة المزارع. وبعد المشى تأتى مهارات استخدام الأصابع والعقل واللسان. أما الدرس الأخير فهو تعلم مهارات الجسد.

لم يبد عليها التأثر. قالت إنها تعرف كل ذلك، ولكن ما فائدة زراعة البنات إذا كن يأتين بطريقة طبيعية، ويأتين أفضل من البنات المزروعات وأكثر قدرة على التكيف؟ نظرتُ إلى عينيها وعجزت عن الإجابة، كانت تخلخل قناعاتى التى ظلت معى سنوات، تضعنى أمام مرآة لم أكن أحب الوقوف أمامها. نسيتُ أن أقول إن المزرعة بأكملها ليس فيها مرآة واحدة.

أنا الآن جالس على كنبتى أفكر بين تلك الزوجة المقترحة وحياة المدينة الغامرة، وبين البقاء فى المزرعة فى حياتى الآمنة. أنا عن نفسى عندما أفكر لا أصل إلى قرار. تلك نقيصتى، والناس لا يخلون من نواقص.



fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# مع كانجارو

قميص هاواى

مكتبة الأسرة ٢٠١٣

fb/mashro3pdf

عندما فتحتُ الباب، كان الكانجارو ممددا على الأرض، يطرق الباب بذيله..

أتذكر ذلك الصباح جيدا، استيقظتُ مبكرا كعادتى فى الخامسة أو السادسة، فى الحلم كنت ألتهم طبقا من التونة، صحوت وأنا أحرك لسانى داخل فمى بحثا عن بقايا الطعم الوهمى. قلت سأضيف إليها بعض الليمون وزيت الزيتون والكمون، أسخن الخبز، وآكل. أنا الآن فيما يمكن أن نسميه "مرحلة التونة"، وهى واحدة من مراحل أتناوب عليها، أو تتناوب علىَ، دوريا. هناك مثلا مرحلة "الجبنة البيضا بالطماطم"، ومرحلة "الجبنة الحمرا" ومرحلة "الفول"، وهناك –لا أنسى– مرحلة "البيض بالبسطرمة". فى كل مرحلة يسيطر على معدتى وعقلى نوع واحد من الطعام، أظل آكله يوما بعد يوم، أحيانا فى الصبح والليل، أحيانا ثلاث مرات فى اليوم. أصبح أسيرا له. عندما أفكر فى الأكل لا أفكر فى سواه، وكأن أى طعام آخر سيعجز عن إشباعى. وأظل هكذا، أسيرا للتونة، حتى يحدث ذات مرة أن أضعها أمامى فيصيبنى منها قرف، ثم فجأة ينير عقلى نور ساطع، نور "الجبنة بالطماطم". وهكذا تنتهى مرحلة "التونة"– مؤقتا– لتبدأ مرحلة "الجبنة بالطماطم".

fb/mashro3pdf

على صعيد الموسيقى كنت فى مرحلة الموسيقى الكلاسيكية، مع ملاحظة أن المراحل الموسيقية لا تتماشى بالضرورة مع المراحل الغذائية، بمعنى أن التونة لا تجلب بالضرورة مزاجا كلاسيكيا فى الموسيقى، كما لا تجلب "الجبنة الحمرا" مثلا اشتياقا للروك. شغّلتُ بعض فالسات شتراوس، وبدأتُ التفكير فى مستقبلى، عندما سمعت طرقا على الباب.

كان الكانجارو ممددا على الأرض، يطرق الباب بذيله..

لم يتوقف ذيله عن الحركة بعدما فتحت، وكأنه مازال يطرق بابا وهميا. فى الغالب لم يقصد أن يطرق الباب، كان يريد فقط أن يحرك ذيله ليريح عضلاته، ليتمطى، أو ليطرد ذبابة. كان مضطجعا على جنبه، جسده محشور فى المسافة الضيقة أمام باب الشقة، عنقه ملوى، ورأسه مستند على الحائط، ينظر إلى الأرض فى شرود. استغرق الأمر ثوانى حتى ينتبه لوجودى، كان يعتقد على الأرجح أن الباب جدار، لذا أدهشه أن يرى ذلك الجدار ينشق عن كائن غريب مدهش، يقف مستقيما كشجرة، ويضع زجاجا على عينيه، ويبدو أنه فقد ذيله فى حادثة ما.

على الأرجح كانت دهشته برؤيتى أكبر من دهشتى برؤيته، لكن رد فعله كان أسرع، بينما كان عقلى يفكر كانت غريزته تتحرك. انتصب فجأة على ساقيه الخلفيتين معلقا الأمامتين القصيرتين فى الهواء، ثم نظر فى عينىّ قليلا وقام بخطوة كانت- دعونى أقول- حاسمة فى علاقتى به، وربما كانت السبب فى معاناتى التى استمرت بعدها سنتين كاملتين، ويعلم الله وحده متى تنتهى. لقد ألقى بساقيه الأماميتين على كتفىّ مثل فتاة مائعة تستنجد بحبيبها من خطر تافه.



fb/mashro3pdf

بعد ثوان كنت فى شقتى، بصحبة كانجارو..

* * *

حديقة الحيوان..

هذا هو المكان الوحيد الطبيعى لمثل هذا المخلوق. طبعا لا أستطيع أن أطرده وأدعه يهيم فى شوارع القاهرة، ولا يمكن أن أحجز له تذكرة "درجة اقتصادية" على طائرة الخطوط الجوية البريطانية المتجهة إلى سيدنى أو كانبيرا. حديقة الحيوان هى المكان الوحيد المنطقى. لم أذهب إلى الحديقة منذ طفولتى. المرة الأخيرة كان عندى عشر سنوات تقريبا. كان أبى يحملنى على كتفيه وهو يواصل الشجار مع أمى والسيجارة بكامل طولها نصف مشتعلة فى زاوية فمه. أتذكر ذلك المشهد جيدا لأنه حرمنى من رؤية سيد قشطة، كان رؤية الشجار العائلى من موقعى بالأعلى أكثر إثارة، ورماد السيجارة معلق بقوة سحرية مناهضة للجاذبية، رغم التحركات المنفعلة لشفتى الوالد الضخمتين.

لا أتذكر أننى رأيت الكانجارو من فوق كتفى أبى، لكن ذلك كان منذ زمن طويل. فى الطريق إلى الحديقة أفكر: إذا كان لديهم كانجارو فسيعرفون كيفية التعامل معه، وإذا لم يكن لديهم سيسعدون أن يأتيهم واحد. كم هو غريب ذلك الكائن، الواقع أن الحيوانات كلها غريبة، الزرافة أيضا غريبة. لقد شاهدتها فى طفولتى. من فوق كتفىَ والدى وضعت جزرة فى فمها. أتذكر خبرا قرأته قبل أيام عنوانه: "حديقة الحيوانات بلا زرافة للعام الثالث على التوالى"، ماتت آخر الزرافات فى حادث مأساوى؛ تناولت طعاما مسموما. كمية السم ونوعه أكدا للمحققين أنها جريمة قتل متعمدة. لكن من ذا الذى يمكن أن يقتل زرافة سجينة فى



fb/mashro3pdf

قفص معمسبق الإصرار. وبأى دافع؟ الشارع العريض المواجه للحديقة خال تماما، راودتنى فجأة رغبة أن أقفز مثل كانجارو، قفزة، قفزتين، ثم عاد إلىّ رشدى، وواصلتُ المشى بوقار.

أقطع تذكرة. أسأل عن الموظف المختص. رجل قصير ولحيم، بلا عنق، بلا إبطين واضحين، وجهه حليق وشعره خفيف فاحم السواد، وله شوارب رفيعة طويلة. كان يشبه –إلى حد بعيد– عجل البحر، باستثناء أن عجول البحر لا ترتدى ربطات عنق. يجلس خلف مكتبه، وإلى جواره يقف شاب طويل جدا، كبير المؤخرة مثل نعامة، وعلى وجهه ابتسامة ثابتة.

يدعونى عجل البحر للجلوس، ويظل النعامة واقفا.

بعد تحية صغيرة أدخل فى الموضوع مباشرة. أحكى له القصة. أعرف أنها قصة غريبة، وبالتالى قد يستغربها، لكن ماذا أفعل؟ عندما تحدث لك واقعة بتلك الغرابة فإن كل ما يمكن أن تفعله هو أن تسلم أمرك لله، وتحكيها بكل صدق وأمانة. أتذكر كمّ الحكايات التى سمعتُها بأذن متشككة، ونفضتُها بعد ذلك على الفور للامنطقيتها، واصما صاحبها–فى عقلى– بأنه واسع الخيال أو به مس من جنون. كنت فى موقف لا أُحسد عليه، لكننى لم أستطع اختراع كذبة مناسبة. رويت لهما القصة بسرعة ودون تفاصيل، كأننى أتخلص منها، ووصلت فى النهاية للنقطة المطلوبة: أريد أن أعرف إجراءات التبرع للحديقة بحيوان.

ابتسم عجل البحر ونظر بطرف عينيه إلى النعامة، ففشخ النعامة فمه واتسعت ابتسامته. قال عجل البحر:

–ومن أين أتيت بالكانجارو؟



fb/mashro3pdf

-قلت لك.. وجدته أمام الباب

-مممممممم.. وماذا فعلت به؟

-أدخلته، بدا لى جائعا فقدمت له بعض الخضروات من الثلاجة، خس وجرجير وخيار وجزر، وتركته فى غرفة مغلقة، وجئت لكم.

-مممممممم.. وحضرتك.. أين تعمل؟

-موظف فى شركة إنتاج سينمائى.

-واضح أن خيالك سينمائى.

ضحك النعامة ضحكة عالية، شعرتُ بدم ساخن يتدفق إلى وجهى.

-أعرف أنك لا تصدقنى، ولكن هذا ما حدث، وأنا أريد أن أحل هذه المشكلة.

-لا أصدقك؟ طبعا أصدقك.. بل سأروى لك حكاية لن تصدقها أنت نفسك. الأسبوع الماضى صحوت على جرس الباب، لبستُ الروب وجريت لأرى من الطارق، وجدته فيلا صغيرا يضرب الجرس بخرطومه، قلت له من أنت؟ قال "أنا الفيل أبو زلومة وأريد أن أقيم عندك ليومين". أشفقت عليه، فأدخلته بيتى، وجعلته ينام فى فراشى، ومن يومها وأنا آتى كل يوم إلى العمل راكبا على ظهر الفيل.

ضحكة عالية أخرى من النعامة الذى فتح فمه للمرة الأولى.

-تمام.. تمام.. الباشا يأتى كل يوم إلى الحديقة على ظهر الفيل.

لم أجد ردا، كان علىّ أن أبتلع الإهانة، ما يقوله ليس أغرب كثيرا مما قلته فى نهاية الأمر. أحسستُ بكراهية جارفة تجاه هذين المخلوقين، تمنيتُ أن يحدث لهما حادث بشع، أن أراهما ممزقين، أن



fb/mashro3pdf

ألمس جثتيهما بيدى. وشدّنى عجل البحر من خيالاتى بأن استعاد وقاره ثم قال:

-حضرتك اترك رقم تليفونك ونحن سنتصل بك

* * *

إن الأيام الأولى مع الكانجارو كانت هى الأصعب. الحق أنه كان- على وجه العموم- مهذبا منذ لحظة اقتحامه لحياتى. دخل الشقة فى قفزات صغيرة للغاية ليتفادى الاصطدام بالأثاث، زحف على جنبه ليمر بين الكنبة والطاولة، تمدد على الأرض متكئا على كوعه، راقدا ككلب مطيع.

خصصتُ له غرفة خالية، فى الليلة الأولى كنت أسمعه من فراشى وهو يقفز جيئة وذهابا، كانت المساحة ضيقة لا تسمح له سوى بقفزتين ذهابا وقفزتين إيابا. كنت أشعر أن لدىّ أسيرا فى الغرفة المجاورة، يئن فى أسره، لكننى كنت عاجزا عن إطلاق سراحه. نمت نوما مرهقا، وحلمت أحلاما خانقة.

فى الصباح وجدت برازه يملأ الأرضية. أعترف أننى لم أحتمل ساعتها، ظللت أشتمه وأنا أدفعه أحيانا وأجره أحيانا باتجاه باب الشقة. فتحتُ الباب وطردته ثم أغلقت الباب بعنف. جلست على الكنبة أدخن سيجارة وأنا أقول:

-ملعون أبوه.. لستُ من بقية أهله.

شغلتُ موسيقى صاخبة وقررت تجاهل الأمر تماما. لكن بعد دقائق أصابنى الغم. كنت أعرف أنه مازال هناك خلف الباب ينتظرنى أن أفتح له. كنت أعرف أنه خجلان من نفسه. هو فى النهاية حيوان يتصرف



fb/mashro3pdf

بفطرته. أعرف أن ذلك قَدَره، وليس له أى دور فى اختياره. أعرف أيضا أن مشكلته هو شخصيا أكبر من مشكلتى. هذا الكائن الذى اعتاد – بالتأكيد– على القفز فى مساحات شاسعة يجد نفسه فى مدينة صاخبة كهذه، وفى شقة ضيقة مثل شقتى، بل وبصحبة إنسان مثلى.. أى عقاب إلهى هذا الذى حطّ به؟ وقلت لنفسى جملتى المتسامحة الأثيرة القادرة على إطفاء جذوة الغضب فى لحظة:

–ضع نفسك مكانه.

لكن تلك كانت أزمة عابرة فى علاقتى مع الكانجارو، فالأيام التالية انقلبت فيها حياتى رأسا على عقب. ورغم أننى–عموما– لا أتمتع بذاكرة جيدة، فبعض الأيام لا أستطيع نسيانها، ومنها ذلك اليوم الذى فشل فيه مشروع زواجى.

أنا لا ألومها الآن –خطيبتى السابقة– فقد اختارت الخيار الصائب. وقد تزوجَت وأنجبت طفلا، بينما مازلت أنا أدور حول قدرى ككلب يحاول عض ذيله. أقول لا ألومها لأن الكانجارو كان قدرى أنا وليس قدرها، ومن ثم فقد كان لديها خيار، أما أنا فلم أكن أمتلك تلك الرفاهية.

قبل زواجنا المزمع بأسبوعين أو ثلاثة، اتصلت بى وطلبت لقائى. كنت مرهقا من الليلة السابقة، أصاب الكانجارو ميكروبا فى معدته على الأرجح، وتقيأ على الأرض مرتين. استدعيتُ الطبيب البيطرى. جاء ليعالجه، وكان طبيبا ثرثارا، أخذ يحدثنى عن غرائب الحيوانات التى يعالجها، من الحمير للأسماك، من العصافير لأبناء آوى، ومن القنافذ للأفاعى. استفسر منى عن كيفية وصول كانجارو إلى بيتى، لكنه لم



fb/mashro3pdf

يندهش كثيرا، لأن الاندهاش سيضيّع منه خيط الكلام، ويجعله يلتزم الصمت ولو لدقائق، ويلعب دور المستمع.

تكلم وتكلم وتكلم وتكلم وتكلم حتى دوّخنى، وأنا أنظر إليه وكأننى منوَّم مغناطيسيا. أتوه منه عشر دقائق فى كوابيس يقظة، ثم أعود إليه ثانية، وأفكر أننى يجب أن أطرده فورا، لكننى أجبن. أحسد كل الحيوانات. الحيوانات تتصرف التصرفات الصائبة، عندما تنزعج من شخص تتركه وتهرب، أو تهاجمه حتى يهرب. أما أنا فأجلس الآن لأتعذب بكياستى.

فى السادسة صباحا يعلن عن اضطراره للرحيل كى يلحق بموعد أحد مرضاه. ألقى بنفسى على الفراش وأنا أطلق آهة طويلة عالية، فأستيقظ بعد ساعة على تليفون من خطيبتى. اتفقنا على اللقاء فى الكازينو الأثير لدينا، وكان صباحا كارثيا.

* * *

كانت شديدة التوتر، طلبتْ كوبا من الشاى وطلبتُ كوبا ضخما من القهوة. أخرجَت إصبع طباشير من حقيبتها وأخذت تقرضه فى عصبية. كانت تلك إحدى عاداتها الغريبة التى تكيفتُ معها، عندما تكون متوترة تأكل الطباشير، وما زاد الأمر سوءا أنها كانت مدرّسة، وعليه فقد كان يصعب علاجها من ذلك الإدمان.

عندما أفكر فى مميزات خطيبتى السابقة أتذكر منها أنها كانت جميلة، لها ساقان جميلتان كثيرا ما قابلتهما فى أحلامى، وشفتان ممتلئتان، وصدر متين، كما أنها لم تكن ثرثارة، ولا عصبية بصورة مبالغ



fb/mashro3pdf

فيها، والأهم من كل ذلك أنها لم تكن تطلب الكثير، وفى المقابل كنت أحقق لها ما تطلبه.

أعرف أنها لم تكن تحبنى على وجه الخصوص. الحب لم يكن أمرا مطروحا، بعيدا عن الكلمات التى أعرف أننى يجب أن أقولها وتعرف أنها يجب أن تسعد لسماعها. كان الأمر اتفاقا مريحا بين شخصين على أن يدورا كل فى فلكه، ويتقاطعا فى مساحة ضئيلة. لم أقابل الكثير من النساء على هذا الشاكلة من قبل، لذا رأيت فيها الزوجة المناسبة. أقصد.. كانت تتركنى فى حالى أغلب الأوقات.

كانت الخطة كالتالى: سنتزوج فى حفل كبير، ثم نقضى شهر العسل فى شرم الشيخ، وبعدها سنسافر إلى دبى. هناك وظيفة جيدة بانتظارى، ووعد بتوفير وظيفة لزوجتى.. لكن ظهور الكانجارو، وعقلى الشارد ذلك الصباح، قلبا كل الموازين.

قالت: تبدو متعبا.

حكيتُ لها عن مرض الكانجارو، فوجدَتها هى فرصة ذهبية..

-الكانجارو؟ الكانجارو ثانية؟ أنت تفكر فى تلك البهيمة أكثر مما تفكر فى أنا. أنا لا أعرف أصلا ما الذى يجعلك مهتما بهذا الكانجارو؟ إنه ليس كلبا ولا قطة، إنه مجرد بقرة تقفز على قدمين. هل رأيت من قبل شخصا عاقلا أو حتى مجنونا يستضيف بقرة فى بيته؟ كان عليك أن تتصرف من اليوم الأول. كان عليك أن تطرده. لا أن تدخله حياتك وحياتى..

عقلى شارد.. لا أجد ردا.. تقرض من إصبع الطباشير وتواصل..



fb/mashro3pdf

-الفرح بعد أسبوع. وبعدها شهر العسل. هل تستطيع أن تخبرنى ماذا سنفعل به؟ هل سنأخذه معنا إلى شرم الشيخ؟ وماذا بعد.. من المفترض أن نسافر إلى دبى.. صح؟ هل سيأتى معنا إلى دبى؟ هل ستبحث له عن عمل هناك؟ لماذا لا تتكلم.. أجبنى.. ماذا ستفعل به؟

ثرثرتها المتدفقة وغير المعهودة أربكت عقلى، لم تكن فى ذهنى خطة محددة. لقد فكرت كثيرا فى هذا الموضوع ولم أجد حلا، أعلم أننى كنت أؤجل المشكلة إلى لحظة المواجهة.. وها أنا أقول كلاما فارغا..

-يعنى.. ربما.. نستطيع أن نأخذه معنا...

-أين؟

-لا طبعا.. لا أقصد، أنا فقط أحاول أن أفكر بصوت عال، لا يمكن أن نأخذه معنا.. لكن..انظرى.. أمك تعيش وحدها فى الشقة، ويمكن أن ترعاه.. أقصد...

-ماما؟ هل تريد من أمى أن تخدم الكانجارو؟ أكيد أنك جننت.

-لا.. لم أجن..كل الموضوع أن أمامى مشكلة أحاول أن أصل إلى حل لها.

قضمَت قضمة كبيرة من إصبع الطباشير لاكتها فى فمها، وبدا عليها التردد، كانت تبحث عن كلمات مناسبة تنهى بها هذا المناقشة التى أعلم تماما أنها كانت عقيمة.

-الحل أن تتخلص منه الآن، فورا.. نذهب سويا إلى منزلك ونجره إلى الخارج. نبلغ الشرطة. نأتى بعمال ينقلونه على سيارة إلى أى مكان فى الصحراء. نتركه يتصرف فى حياته كى تستطيع أن تتصرف فى حياتك.. وحياتى...



fb/mashro3pdf

خطيبتى لم تكن تعرف مدى علاقتى به، فعلى مدار شهرين تقريبا كنا قد أصبحنا صديقين. لقد عانيت منه أيما معاناة- لا أنكر، عانيت فى ترويضه الكثير، حتى أعلّمه نظام حياتى، والأماكن التى يجلس فيها، والأشياء الممنوع عليه لمسها. لقد استغرقتُ وقتا طويلا وأنا أعلمه أن يقضى حاجته فى الحمام، وكنت أمسح الحمام بنفسى بعدها، بكمامة على أنفى، واشمئزاز ظل يخفت مع الوقت.

نعم، أقول إننى عانيت منه الكثير، لكن تلك المعاناة ولّدت علاقة قوية بيننا، جزء منها قائم على الابتزاز العاطفى. أعلم.. أعلم أنه ذكى جدا، إنه يعرف جيدا كيف يكبلنى بالشفقة، بالإحساس بالذنب. يحنى رأسه لأسفل ويرفع حدقتيه إلى أعلى، يظهر أمامى كمخلوق مسكين لا حول له ولا قوة. أعرف أن هذه المخلوقات البرية قوية، لكن هذا ضعيف، أو- ربما، لا أنكر- يدّعى الضعف.

كذلك فهو مؤدب، يحرص--باستثناء لحظات قليلة- على ألا يثير أعصابى. لقد تعلم- فى النهاية- أين يأكل وأين ينام وأين يقضى حاجته. تعلم أن يتحرك ببطء حتى لا يكسر شيئا فى الشقة. تعلم ألا يتقافز ليلا فيوقظنى من النوم. تعلم أيضا- وكان ذلك ممتعا- أن يلاكمنى صباحا. أعرف أن ضربته يمكن أن تكون قوية، لكنه يضربنى برقة. كان تمريننا صباحيا جميلا، مازلنا نمارسه حتى الآن. ذات مرة جرحنى بحافره، وفى مرة أخرى أصابنى بتورم فى رأسى، لكنه- عادة- كان رقيقا مثل طفل.

قالت خطيبتى فى ذلك اليوم المذكور، وهى تقضم قطعة أخرى من الطباشير الذى بات بطول عقلة إصبع:



fb/mashro3pdf

-إما أنا وإما الكانجارو.

* * *

أغسل أوراق الخس وأحلم بالتقاعد. مازال أمامى سنوات حتى أصل للأربعين، ثم عقدين كاملين- ربى ماذا أنا فاعل بهما- حتى أصل إلى الستين. لكن حبات الماء اللامعة على أوراق الخس الطازج تثير فى نفسى رغبة فى التقاعد.

أناول "كينج"- هذا هو الاسم الذى أطلقته عليه- بعضا من الخس، وألتهم البعض الآخر. بعد فسخ خطبتى عانيت كثيرا، ليس لأننى كنت متيما فى عشقها، ولكن لأننى أدركت فجأة حقيقة كانت تتسلل إلى واحدة واحدة دون أن أجمع شتاتها: إن حياتى لن تعود أبدا كما كانت.

لم أتقبل ذلك. حاولت أن أتصرف، لكن كل محاولاتى للتخلص من "كينج" باءت بالفشل الذريع (ينتابنى الآن خجل مزدوج من كلمتى "التخلص" و"الفشل"). مع الوقت بدا مثل إصبع زائد فى يدى، وكأننى خلقت به من جديد. قلت فى نفسى إننى مضطرب عاطفيا هذه الأيام، هذه الشهور، إننى- لا بد- سأستيقظ يوما وأطرده من حياتى. سأدرك بوضوح حقيقة أدركها الآن ببعض التشوش، وكأننى فى غابة من السافنا، سينتهى موسم الأمطار وتمتد أمامى الحقيقة واضحة وجلية وشاسعة مثل صحراء، لأفهم معادلة: إما أنا وإما هو، وسأختار الخيار الصائب، لكن "أنا" و"هو" ازددنا التصاقا. يوما بعد يوم، وشهرا بعد شهر. ازدادت السافنا طولا وطراوة، بل بدت فى فمى حلوة المذاق حتى لم يعد هناك أمل. لا.. كان هناك ما يدعونه بـ"بارقة أمل"..



fb/mashro3pdf

علمتُ من صديقى المتخصص فى دبلجة أفلام الأطفال- والذى كان اعتبر حكايتى مع "كينج" كارتونية- أن له صديقا مهتما بالكانجارو، رجل أعمال يمتلك مزرعة ماشية. كان ذلك حلا نهائيا لا بأس به لقصة ما كان يجب أن تبدأ من الأساس.

ذهبت إلى صاحب المزرعة، أنا و"كينج" الذى حشرته فى كنبة سيارتى الصغيرة الخلفية. فكرت أن هذا هو المكان المناسب لـ"كينج"، لو يقبل هذا الرجل أن يأخذه ويربيه مع أبقاره فسيجد مساحة أكبر للحركة، وربما يتصاحب على الأبقار، وأنا- وأعترف أننى فكرت بأنانية- سأتخلص أخيرا من مسئوليته.

اصطحبنى الرجل إلى جولة فى مزرعته الكبيرة، حدثنى عن أنواع الأبقار التى يربيها، وكيفية تهجينها، والمشكلات التى يواجهها، كان طويلا ووسيما، جسده رياضى، وجهه مبتسم، ملامحه مريحة للغاية. لم تكن تشوبه شائبة، باستثناء النظارة التى كان يرتديها والتى كانت خالية من العدسات.

أدخل إصبعه فى الإطار الفارغ ودعك عينه وهو يقول:

-أوكيه.. سآخذ منك الكانجارو.

- سيكون ذلك كرما بالغا.

-نتكلم فى السعر.

-كم تريد؟

ضحك ضحكة عالية وهو يضرب إحدى أبقاره بكرباج صغير يمسكه فى يده..

-هههه هاهاها.. كم تريد أنت؟



fb/mashro3pdf

-ولكن.. ماذا ستفعل به؟ أضف إلى ذلك أنك ستتكلف مصروفات أكله وعلاجه و...

-ماذا سأفعل به؟ سآكله طبعا. عيد ميلادى اقترب، وسأجهز وليمة كبيرة، وأفكر أن أشويه، ستكون فرصة رائعة أن يتذوقه أصدقائى. أنا أعلم جيدا طعم الكانجارو، أكلته من قبل فى اليابان، تعرف.. اليابان من أكثر دول العالم استيرادا للحم الكانجارو.. أنا قضيت سنوات طويلة فى اليابان، أنا أصلا كنت متزوجا من يابانية أيام الشباب، كانت طباخة رائعة، لكننى مللت منها. أصارحك أنها كانت باردة جدا. كنت تنام إلى جوارها فتشعر أنك نائما إلى جوار أختك.

خلع نظارته ورفعها فى مواجهة الشمس ناظرا عبر عدساتها غير الموجودة وهو يواصل..

- كانت مهذبة جدا ولكننى مللت منها، كان لدينا حسابا بنكيا مشتركا، فسحبتُ كل أموالنا وجئت طائرا إلى مصر، فتحتُ هذه المزرعة.. هذا الكانجارو صغير، وزنه أربعون أو خمسون كيلوجراما، سأدفع لك ثلاثة آلاف جنيه.. ماذا تقول؟

* * *

لا أعرف لماذا أقص كل تلك التفاصيل، لكن فى الحكى فضفضة على أى حال، كما أنه - بطبيعته- يحوى بعضا من الموعظة ومتعة التأمل. لذا هاك يوم آخر من المعاناة، ربما كان من أصعب أيام حياتى، لكنه زادنى صلابة، لأننى أدركت بعدها أن الأسوأ قد حدث بالفعل.

أجهز- بميكانيكية- طبق التونة بزيت الزيتون والليمون والكمون، وأفكر فى شريط حياتى، وهى عملية مفيدة لشغل وقت الفراغ. كل يوم



fb/mashro3pdf

أحاول تذكر لحظات من الماضى، وكأننى أتفرج على ألبوم صور. أكلم نفسى أحيانا، أكلم "كينج" كثيرا. أحكى له ما ارتكبته من أخطاء وحماقات، أقص عليه لحظات سعادتى، أكلمه عن نفسى.. ماذا أقول عن نفسى؟ شخص.. يفعل بعض الأشياء، ويمتنع عن فعل بعض الأشياء، يعمل ويأكل ويشرب، يستمتع ببعض اللحظات ويشقى ببعضها. جل ما يتمناه هو أن تسير حياته بلا مفاجآت، أن ينساه القدر، لا يعيره أى انتباه. أنا.. الكومبارس الصامت الذى ينتظر أن يمنحه مدير الإنتاج خمسين جنيها فى نهاية يوم العمل، ويخاف أن تلعب العفاريت بعقل المخرج فيقرر له دورا أكبر. كنتُ هكذا يا "كينج" حتى جئت أنت. فأصبح لى خط درامى لم أسع إليه.. منّك لله يا كينج!

شممت جسدى، كان يفوح بالارتباك والتوتر ورائحة "كينج"، دوش ساخن، شاى ساخن، تناولتُ لقمة من التونة فأصابنى الغثيان، أفرغتُ الطبق فى الزبالة. سمعتُ طرقا على الباب فانقبض قلبى.

شخص بملابس مدنية يستدعينى إلى أمن الدولة.

فى السيارة وضعوا عصابة على عينى، تتوقف السيارة ويسحبنى أحدهم من ذراعى، يمشى بى، نلف وندور، يقول: "احترس من السقف" فأحنى رأسى، يقول: "احترس من المياه" فأخطو خطوة طويلة، نصعد سلالم وننزل سلالم، أقابل محققا يسألنى عن اسمى ومهنتى، عائلتى وأصدقائى، أحاول أن أفهم منه لماذا أنا هنا فيؤكد أنه وحده الذى يطرح الأسئلة، يسألنى عن الكتب التى أحبها، عن الصحف التى أقرأها، عن البرامج التلفزيونية التى أتابعها، عن الأجانب الذين أعرفهم، عن خطيبتى السابقة. أقول أريد أن أعرف لماذا أنا هنا، فيقول بتهديد واضح:



fb/mashro3pdf

-من فضلك احترم عملنا كى نحترمك.

ينتهى التحقيق. استراحة. تحقيق آخر. نفس الأسئلة. نفس الإجابات. تحقيق ثالث. نفس الإجابات. نفس الأسئلة. وأخيرا أدخلونى إلى مكتب ضابط مهيب، طويل وعريض، سمح لى بدخول الحمام- وكنت فى أمس الحاجة لذلك- طلب لى قهوة وقدم لى سيجارة، دخنتها فى سرعة فقدم لى أخرى.

-لماذا ترتعش؟

-الجو بارد.

-فعلا.. الجو بارد هذه الأيام.

قالها وهو يشغل مروحة السقف.

-طبعا أنت تعلم لماذا استدعيناك.

-الحقيقة لا.

-هل تعتقد أن أمن الدولة يمكن أن تستدعى أى شخص لتحقق معه هذا التحقيق الطويل؟ هل تعتقد أن وقتنا يسمح بالتسلية على حساب المواطنين؟

-بالطبع لا.. لكن مؤكد أن هناك سوء تفاهم.

-يعنى.. لا تعلم لماذا جئت إلى هنا؟

-الحقيقة لا.

يخلع "البدلة الميرى"، يعلقها على الشماعة، ويجلس أمامى بالقميص.

fb/mashro3pdf

-فكر فى أى شىء غريب فعلته مؤخرا. شىء يجعلك مختلفا عن بقية سكان عمارتك، بقية سكان الشارع والحى، شىء يجعلنا نهتم بك لهذه الدرجة.

-الحقيقة لا أعرف.

-طيب.. لأنك رجل محترم سأعطيك مفتاحا.. قل لى.. عندك حيوانات فى البيت؟

-نعم.. الكانجارو.

-جميل.. بدأت تتذكر.

خلع قميصه وجلس بفانلته الداخلية.

-قل لى.. أين يعيش الكانجارو؟

-عندى فى البيت.

-أقصد أين يعيش أصلا.

-فى استراليا.

-وهل ذهبت إلى استراليا من قبل؟

-لا.

-طيب.. كيف وصل إليك الكانجارو؟

-فى يوم سمعت طرق على الباب، فتحت فوجدته.

أشعل سيجارة، همهم بعدم رضا، خلع فانلته الداخلية، علقها على الشماعة، يجلس أمامى عارى الصدر، صدره غابة من الشعر، غابة تصلح لمعيشة نسخ مصغرة من الأسود والغزلان والأفيال والزرافات والحمير الوحشية. غابة من السافنا، متشابكة ومُربكة، تفتح على صحراء بطنه



fb/mashro3pdf

الواسعة، وهضبة كرشه، وفوهة بركان صرته التى أتمنى أن أقفز فيها وأختفى فى جسده مثل دودة شريطية.

واصل الأسئلة من جديد، واصلتُ الإجابات، نفس الأسئلة وذات الإجابات، مرة تلو أخرى، عشرة مرات، عشرين أو خمسين، تعبت.. لكن ما الذى يجعلكم مهتمين بموضوع الكانجارو؟ لأننا نهتم بكل شىء غريب، لأن ما لا نعرفه قد يكون خطيرا، ويظل الخطر قائما طالما لا نعرف ما لا نعرفه، لأننا نريد أن نعرف كيف استطاع مواطن مصرى أن يأتى بكانجارو، لأن المواطن الذى يأتى بكانجارو اليوم لا تعرف بما يأتى غدا. حتى لو كان الكانجارو نفسه ليس خطيرا، فالظروف التى أدت لوجود كانجارو فى القاهرة- لو تكررت- يمكن أن تأتى بأشياء أخرى أكثر خطورة.. نحن لا نحب الأمور الغامضة، لو تركنا الحال هكذا يمكن أن تمتلئ شوارع القاهرة بالكانجارو. هل تعلم حجم الخلل الاجتماعى والثقافى والبيئى الذى يمكن أن يحدث وقتها؟ حجم الخلل السياسى؟

كان ذكيا هذا الضابط بالتأكيد، وكانت له حجته. قرر إخلاء سبيلى بعد أن أكد لى أننى تحت المراقبة، وأن الموضوع لم ينته عند هذا الحد. وقد تبين لى بعد ذلك أن تهديده كان فارغا، وأن الأمور انتهت بالفعل عند هذا الحد. لكننى كنت قد تعبت، تعبت جدا، حتى أننى شعرت بكراهية مفاجئة تجاه المسكين "كينج"، وسألته:

-هل ستأخذون الكانجارو؟

-نعم؟

-الكانجارو.. خذوه.. لا أريده.

فقد هدوءه فجأة وصرخ فى وجهى:



fb/mashro3pdf

-أنت عبيط؟ ماذا تفعل أمن الدولة بكانجارو؟

نعم، كان ذلك يوما عصيبا، لقد مرت عليه أكثر من سنة، لكن ذكراه مازالت قادرة على إثارة القشعريرة فى جسدى. كذلك فقد كان يوما فارقا، فبعد ذلك لم يتسبب لى "كينج" فى مشكلات من النوع الخطير.

* * *

إننى أكتب الآن و"كينج" مضطجع أمامى على كوعه نشاهد التلفزيون سويا، لقد قمت بعدة إجراءات للتكيف مع حياتى الجديدة. بعد فقدان زوجة المستقبل تراجعتُ عن عرض العمل فى دبى. ضبطتُ مواعيد عملى كى تتناسب مع رعايتى لـ"كينج". تخليتُ عن معظم الأثاث كى أخلق له مساحات للحركة. تخليت عن السجاد. عهدت إلى امرأة بتنظيف الشقة مرتين أسبوعيا. قرأت كثيرا عن الكانجارو. شاهدت أفلاما عن الكانجارو. انتقلت إلى شقة فى الدور الأرضى من نفس البناية. ازددت لطفا مع جيرانى حتى يتقبلوا وجوده. بعد ذلك تمكنت من استئجار شقة صغيرة بحديقة أصغر، أعمل ١٢ ساعة كى أسدد إيجارها.

تعرفت على صديق يملك مزرعة فى الريف. كل أسبوع أصحب "كينج" ونذهب إلى المزرعة، فى تلك اللحظات أستمتع وأنا أنظر إليه يقفز بعنفوانه حين يرى الطريق مفتوحا أمامه، عاليا عاليا، وطويلا طويلا. عندما أنظر إليه أشعر أن صدرى يتسع، موجة عالية من الهواء تجتاح رئتىّ، وأبتسم، وأكون سعيدا. طبعا فى بعض الأحيان تراودنى أفكار سيئة، وأتمنى أن يقفز بعيدا ولا يعود ثانية. لكنه كان دائما ما يرجع لى.

مازالت هناك لحظات صعبة بالطبع، عندما ينسى "كينج" مثلا ويعود إلى عاداته الوحشية. فيكسر شيئا فى المنزل برعونته أو يقضى



fb/mashro3pdf

حاجته على السجادة، أو يقفز ويموء بعد منتصف الليل، من كابوس- ربما- تصوره واقعا. أحيانا ما يكون رد فعلى عنيفا. أجلسه أمامى وأقول له:

-هل تعرف طريقة تحضير لحم الكانجارو؟ هه؟ هات قطعة من فيليه الكانجارو، تبلها باللح والفلفل الجبلى، أضف إليها قليلا من النبيذ أو عصير الكيوى، ضعها فى المقلاة على قطرتين من الزيت، إقلبها لثلاث دقائق على كل وجه، ليس أكثر من ثلاث دقائق، وإلا ستجف وتفقد طراوتها اللذيذة. اسحب المقلاة من على النار وغطها بـ"الفويل". قدم لحم الكانجارو اللذيذ مع الخضروات الطازجة.

وفى أحيان أخرى كنت أعاقبه بمعلومات عن بنى جنسه:

-تعرف؟ لو تركنا الكانجارو ليتكاثر بكل حرية سيتضاعف عدده أربع مرات كل خمس سنوات. هل تعرف لماذا؟ لأنكم حيوانات قبيحة وقليلة الحياء، تتناكحون طوال العام، ليس فى مواسم معينة مثل بقية خلق الله، يعنى ممكن أن تتسببوا فى مشكلة حقيقية لسكان استراليا.. فاهم؟

فى بعض الأيام يكون بائسا وكئيبا وهو راقد بذراعيه القصيرين كشحاذى الأنفاق الكسيحين. وساعتها أقول له أشياء مهينة من قبيل:

-جلد الكانجارو أفضل جلد لصناعة الجزم.

تلك كانت عواصف عابرة تعكر صفو حياتنا الهادئة فى معظم الأحيان. وإذا نظرنا للجانب المليء من كوب حياتى البائس سنجد أن صحبة "كينج" لم تكن تخلو من المتعة، كما لم يكن بلا فائدة. معه مثلا لم أعد أشعر بالوحدة. لقد اختفى تقريبا هذا الإحساس من حياتى. عندما



fb/mashro3pdf

تكون بصحبة كائن بهذا الحجم لا يمكن- نظريا على الأقل- أن تكون وحيدا. الكانجارو ليس عصفورا فى قفص أو سمكة فى حوض، بل هو مخلوق محترم. أضف إلى ذلك أن "كينج" كان- عمليا- مسليا. عندما أتحدث إليه ينصت. قد ينصت إلىّ لنصف ساعة أو ساعة أو ساعتين وأنا أقص عليه همومى، وبعد أن أنتهى، يعطى إشارة بأن يهز رأسه، أو يمسح خطمه فى بطنى وهو يخور خوارا رقيقا، ثم يضطجع ثانية على الأرض متابعا البرامج التلفزيونية. أما أجمل اللحظات فكانت عندما أحممه معى تحت الدوش، ساعتها يعود طفلا.. لن تفهم ما أقول إلا إذا أسعدك الحظ بأن تأخذ دوشا مع كانجارو.

لقد كتبت كلمة هنا ثم شطبتها، ثم كتبتها ثم شطبتها. كلما أكتب أننى أحب هذا الكانجارو تتداعى إلى ذهنى كل المشكلات التى أوقعنى فيها، ليس هو بنفسه، ولكن وجوده ذاته. لقد حرمنى من الزواج وتكوين أسرة، من السفر وكسب المال، ومازال يحرمنى أشياء كثيرة كانت لتصبح فى يدى ما لم يكن موجودا. لكن العِشرة جمعت بيننا، وأنا الآن أستطيع أن أقول إن حياتى الجديدة ليست سعيدة جدا، ولا بائسة جدا، وليس لدى تصور لما كانت ستصبح عليه لو لم يدخلها الكانجارو. لا أستطيع أن أجزم أنها كانت ستصبح أفضل، هل تفهمون؟ بل إنه سؤال غير مطروح، فالواقع أن الكانجارو هنا.. معى، وأن حياتى دون الكانجارو ليست سوى حياة متخيلة.

fb/mashro3pdf

# الفهرس


| | |
|---|---|
| العطش | ٧ |
| موتو | ٢٧ |
| قميص هاواى | ٣٩ |
| الكاتبة | ٥١ |
| القاهرة | ٦٣ |
| البنت الفقيرة والشامبنزى الأمير العاشق (حكاية أطفال) | ٧٣ |
| مؤتمر الكمّة الأفريكية | ٨٣ |
| مزرعة البنات | ٩٧ |
| مع كانجارو | ١٠٥ |


fb/mashro3pdf

# أدب

سلسلة تهتم بنشر النصوص المتميزة من الإبداع، معاصرة كانت أم حداثية، متمثلة فى النماذج المضيئة من الشعر والسرد والنقد الأدبى بالإضافة إلى تاريخ الأدب، من أجل إثراء خبرة القارئ وتنمية وجدانه الأدبى ووعيه الجمالى، والسعى إلى نشر القيم الفنية التى [illegible] للمتلقى الفائدة المرجوة من قراءة هذه النصوص الراقية، حيث يمنح الاشتباك مع فضاء النص متعة الفن الجميل ويدرب على كيفية تذوقه، كما تمنح القارئ مساحات لا نهائية للدخول إلى هذه العوالم السحرية، التى يعكف الأدباء على بنائها بعصارة وجدانهم وحبر قلوبهم.

ISBN# 9789774483387

6 221149 028258

٢جنيهات

fb/mashro3pdf